سلسلة تدبر القرآن
(١)

تعليم تدبر القرآن الكريم

أساليب عملية ومراحل منهجية

تأليف
د. هاشم بن علي الأهدل
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

تقديم
أ.د. ناصر بن سليمان العمر

مركز الدراسات والمعلومات القرآنية
(٩)
بمعهد الإمام الشاطبي

حكم هذا الإصدار
التحكيم العلمي المتعارف عليه

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

الناشر
مركز الدراسات والمعلومات القرآنية
بمعهد الإمام الشاطبي
التابع للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة جدة

ص.ب : ١٤٨١١ جدة ٢١٤٣٤
هاتف : ٠٠٩٦٦٢٦٧٦٠٢٠٢ - تحويلة ١١٠
فاكس : ٠٠٩٦٦٢٦٧٦٠٥٠٥
الموقع الإلكتروني : www.shatiby.edu.sa
البريد الإلكتروني : Drasat1@shatiby.edu.sa

سلسلة تدبُّر القرآن

(١)

تعليم تدبر القرآن الكريم

أساليب عمليّة ومراحل منهجيّة

تأليف

د. هاشم بن علي الأهدل

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

تقديم

أ. د. ناصر بن سليمان العمر

مركز الدراسات والمعلومات القرآنية

(٩)

بمعهد الإمام الشاطبي

تقديم

الأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١] أما بعد:

فإن الأمة مع ما تعانيه من محن وابتلاءات ومؤامرات من الأعداء وحرب ضروس في كثير من الجبهات تمر بفترة نهوض وقوة في جوانب كثير من حياتها، ومن ذلك العودة إلى كتاب الله جل وعلا وسنة النبي ﷺ، وهذا هو المسلك الصحيح الذي يخرجها من مشكلاتها ويعينها على التغلب على أعدائها، ويعيد لها مكانتها ومنزلتها بين الأمم لتبقى ﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقد حسم النبي ﷺ ذلك بقوله «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي» وفي بعض الأحاديث «كتاب الله» وهو متضمن للسنة باللزوم لقوله تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧] وقوله ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: ٢١] والآيات في ذلك

متواترة متوافرة. ومن أوجه العودة الظاهرة الظافرة إلى كتاب الله جل وعلا، انتشار مدارس تحفيظ القرآن في البلاد الإسلامية وبخاصة في بلادنا (المملكة العربية السعودية) حيث بلغت مدارس التحفيظ للرجال والنساء رقماً كبيراً سواءً منها الحكومية أو الأهلية. ولا غرو في ذلك ففي الأرض المباركة (مكة والمدينة) نزل القرآن ومنهما بلغ ما بلغ الليل والنهار. ولكن مع هذه العناية الكبرى فيما يتعلق بحفظ القرآن وتجويده، حدث تقصير في جوانب أخرى مهمة، ومن ذلك التدبر والعمل بالقرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [صٓ: ٢٩] والآيات في هذا كثيرة جداً تبين أن هذا هو الغاية والمقصد من نزوله.

وقد نعى الله على أهل الكتاب اقتصارهم على التلاوة دون التدبر والعمل فقال ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨] أي: إلا تلاوة كما ذكر المفسرون.

وقد تنبه لهذا الجانب بعض العلماء وطلاب العلم فبدؤوا يعنون بجوانب التربية من خلال التدبر، وهذا هو منهج النبي ﷺ وصحابته الكرام كما تظافرت بذلك النصوص والوقائع العملية.

ولأن (التربية والتعليم من خلال التدبر) يحتاج إلى تأصيل وتفصيل ورسم منهج متكامل يسير عليه المربون والمعنيون بهذا الأمر، فقد انبرى لهذا الجانب العظيم ثلة من طلاب العلم فألَّفوا وصنفوا الرسائل والكتب في ذلك، ومن هؤلاء الأخ الدكتور هاشم بن علي الأهدل، حيث ألَّف كتاباً رائداً في هذا الموضوع، سماه «**تعليم تدبر القرآن الكريم**» وقد قوَّمه عدد من المتخصصين وراجعوه وسدَّدوه وأشادوا بهذا الكتاب بعد بيان ما يرونه من ملحوظات، استدرك المؤلف أكثرها وأجاب عن بعضها.

وقد اطلعت على الكتاب وقرأت أغلب فصوله، كما رأيت آراء المحكمين له وثناءهم عليه، فسرني ما قرأت وما رأيت، ولم أطلع على كتاب في مثل

شموله وحسن ترتيبه وإعداده مع غزارة مادته وإفادته ممن سبقه في هذا العلم (علم التدبر).

فجزى الله أخي (هاشم) خيراً على هذا الجهد ونفع بعلمه وتجاربه، وقد أحسنت الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن (في جدة) ممثلة بمعهد الإمام الشاطبي حيث تبنت طباعة هذا الكتاب والإفادة منه في مناشطها المتعددة المتميزة، والمتابع لمسيرة هذه الجمعية في السنوات الأخيرة يلحظ الإبداع وتنوع المناشط واستثمار التقنية وتعدد الأساليب مما جعلها من الجمعيات الرائدة في المملكة.

لذا آمل أن تتبنى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد هذا الكتاب، لتفيد منه جمعيات التحفيظ في المملكة، بل أتمنى أن يعتمد كتاباً إرشادياً لمعلمي التحفيظ في المدارس الحكومية التابعة لوزارة التربية والتعليم.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، وجعلنا ممن تعلم القرآن وعلَّمه لينال الخيرية التي وعد بها النبي ﷺ بقوله «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

وكتب

أ. د. ناصر بن سليمان العمر

أستاذ القرآن وعلومه بجامعة الإمام سابقاً

المشرف العام على موقع المسلم

١٤٢٩/٦/٢٢هـ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فلقد كتب الكثيرون من المهتمين عن موضوع تدبر القرآن الكريم، وبين المصنفون من العلماء مفهوم التدبر، وآثاره، ووسائله، والطرق المعينة على تحقيقه، وغير ذلك من المباحث الضرورية المتعلقة بالتدبر.

ولكن من الملاحظ في مؤسسات وحلق تعليم القرآن أنه قليلاً ما يُعتنى بهذا الجانب المهم من القرآن، فقد تجد الطالب يحفظ كتاب الله كاملاً، ولا يعرف معاني آيات من القرآن الكريم، ولا يحسن تدبرها، وربما يمكث المتعلم سنوات في حلقة التحفيظ، مركزاً على حفظ حروف الكتاب ولا يقيم آدابه، ولا يتمثله في واقعه سلوكاً، وما ذلك إلا لأنه لم يعِر هذا الجانب اهتماماً، أو لأنه لم يجد معلماً يبصره بطرق التدبر وأساليبه العملية، أو لم يتيسر له التتلمذ على يد مربٍ يحسن التعامل مع قدراته المعرفية، واستعداداته الذهنية، ويعينه على الرقي الفكري والسلوكي من خلال الوسائل التحفيزية، المادية منها والمعنوية.

ويؤكد أحد المسئولين بإحدى جمعيات تحفيظ القرآن هذه المشكلة التربوية بقوله: «لو نظرنا في واقع الحلقات لوجدنا تقصيراً واضحاً في هذا المجال، وأن أكثر الدارسين اقتصروا على التحفيظ دون التدبر والتفهم بسبب ما يأتي:

١ ـ ضيق وقت الحلقة.

٢ ـ كثرة عدد الطلاب.

٣ ـ صغر سن الطلاب.

وظهر لي عدم تدبر أكثر الطلاب لقراءة القرآن الكريم من خلال عدم مراعاتهم للوقف والابتداء، أثناء تسميعي لهم في الحلقات، أو في الاختبارات والمسابقات، فيقف ـ الطالب ـ وقفاً عجيباً، ويبتدئ ابتداءً غريباً، يدل على عدم التدبر والتأمل»(١).

وقد يكون من المعلمين من يحث طلابه على التدبر نظرياً، ويردد عليهم هذا التوجيه مراراً وتكراراً، ويجتهد في ذلك، ولكنه لا يعرفهم بكيفية التدبر وأصوله، ولا يراعي التدرج التربوي، ولا النمو المرحلي لهم، وبالتالي تكون توجيهاته قليلة الفائدة، أو بلا أثر يُذكر ولا نتيجة تظهر. ولتجاوز هذا القصور التربوي لا بد من بناء خطوات ومراحل منهجية في تعلم وتعليم التدبر، معتمدةً على ما يفيد من نظريات تربوية معاصرة، حيث «تؤكد الاتجاهات التربوية الحديثة على أهمية استخدام أساليب التعليم والتعلم التي تؤكد على إيجابية المتعلم ونشاطه في أثناء العملية التعليمية، وعلى ضرورة تهيئة الظروف الملائمة لجعل المتعلم يكتشف المعلومات بنفسه بدلاً من الحصول عليها جاهزةً، وعلى أن يتحول دور المعلم من تلقين المعلومات إلى توجيه المتعلم وإرشاده»(٢).

ومن تلك النظريات التي سوف يستفيد منها هذا البحث النظرية السلوكية في علم النفس، والتي تفسر التعلم على أنه استقبال مثير وإصدار استجابة، وتستفيد من نظرية الاقتران الشرطي، وما يتعلق بها من مفاهيم وتطبيقات التعزيز، وكذلك نظرية اكتساب العادات وتدعيم السلوك.

---

(١) إسهام جمعيات تحفيظ القرآن الكريم في بناء الأجيال، الواقع والمأمول، ص ص٦١١ ـ ٦٢٨.

(٢) أساليب التعليم والتعلم وتطبيقاتها في البحوث التربوية، ص ٥.

إن التدبر يستحق أن يكون علماً منفصلاً من علوم القرآن، بل من العلوم المعاصرة التي تُفرد لها المؤلفات والكتابات الخاصة، ويستحق أن تُنشأ له المؤسسات التربوية، وتكون مستقلةً عن غيرها من الجهات التعليمية، شأنه في ذلك شأن حلقات التحفيظ القرآنية، وهو علم يستحق أن يُطبق عليه منهج المواد الدراسية المنفصلة، والذي «يُعنى بوضع كل مجال دراسي خاص في مقرر منفصل عن بقية المقررات الدراسية الأخرى، أي أنه يرتب المواد الدراسية على أساس الفصل فيما بينها، بحيث تمثل كل مادة قسماً خاصاً من التراث المعرفي الإنساني، ثم توزع هذه الأقسام ـ بترتيب منطقي ـ على سنوات الدراسة التي يقضيها الطلاب في السلم التعليمي»(١). فإذا ما أردنا تطبيق هذا المنهج، فإن الأمر يستلزم فصل علم التدبر عن غيره من علوم القرآن.

وأخيراً، أود أن أشير في هذه المقدمة، أن هذا البحث لم يستوعب كل ما يتصل بهذا التنظير الجديد لموضوع التدبر، وما ذُكر به من تفصيلات تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث، كما أنها قد لا تكون أهمها وأحقها بالدراسة، ولكن الله يسر لي إبرازها لفتح باب المناقشة والدراسة العلمية، وهي قابلة للتعديل والتقويم. وأحسب أني قد طرقت باباً جديداً لموضوع قديم، علينا جميعاً أن نجتهد فيه، ونحاول ونخطئ وصولاً إلى الصواب، فلكل مجتهد نصيب، ولكل مخطئ توبة، ولا يضيع الله أجر من أحسن عملاً.

وإني لأدعو الله عز وجل بالتوفيق والسداد، والرفعة في الدارين لكل من نظر في هذه الوريقات، وأكرمني بملاحظاته وتوجيهاته واقتراحاته، ورحم الله من أعان أخاه على سد الخلل وتجاوز القصور وإكمال العمل.

---

(١) المنهج الدراسي المعاصر، ص ٢٤٨.

أهمية البحث

يمكن تحديد أسباب أهمية البحث في الأمور التالية:

١ ـ أن التدبر موضوع أساسي له علاقة وثيقة بالقرآن الكريم.

٢ ـ أن التدبر هو المقصود الأعظم من تنزل القرآن العظيم.

٣ ـ أن التدبر نوع مهم من تعلم القرآن، والذي به تُنال الخيرية والأفضلية التي بينها رسول الله ﷺ.

٤ ـ الاقتداء بالرسول ﷺ في تدبر كتاب الله.

٥ ـ أن هذا البحث مبني على مراحل منهجية يستفيد منها المتعلمون والمعلمون، والمهتمون بالعملية التربوية عموماً.

أهداف البحث

يمكن حصر الأهداف فيما يلي:

- التعريف بمفهوم التدبر، وبيان وسائل تربية الناشئة عليه.
- تيسير عملية التدبر وجعلها في خطوات متدرجة.
- بيان أسباب التدبر وطرق اكتسابه.
- توعية المربين بوسائل وأساليب تربية الأجيال على التدبر.

حدود البحث

يناقش هذا البحث موضوع التدبر من منظور علم التربية وعلم النفس، وسيقترح البحث ـ إن شاء الله ـ مراحل منهجية تتناسب مع مراحل نضج المتعلمين، كما يقترح عدداً من الوسائل والإجراءات التربوية لكل مرحلة منها. ولتعليم التدبر يضع البحث عدداً من الخطوات العملية التي يقوم بها الفرد بنفسه لتحقيق التدبر.

الفصل الأول

الجوانب المعرفية لموضوع التدبر

أولاً ـ مفهوم تدبر القرآن

ثانياً ـ غاية التدبر وأهميته

المبحث الأول

مفهوم تدبر القرآن

إن تحديد المصطلحات من الأمور المعرفية المهمة في العملية التعليمية، والتي ينبغي أن تُبين للدارسين بوضوح، كي يعرفوا ما الأمر الذي سيدرسونه، وما الجوانب المتعلقة به، وبالتالي يمكن قياس مدى استيعابهم لما درسوه. أما إذا لم تكن تلك المصطلحات واضحةً فإن ذلك سيؤثر على الأهداف والوسائل والتقويم، ولذلك سيبدأ البحث بتعريف المقصود بالتدبر.

التدبر لغةً[(١)]: «النظر في عواقب الأمور وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب». وقال ابن كثير: التدبر هو: «تفهم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقةً، وما دخل في ضمنها، وما لا يتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه»[(٢)].

وعرفه بعض المعاصرين بأنه: «التفكر باستخدام وسائل التفكير والتساؤل المنطقي للوصول إلى معانٍ جديدة، يحتملها النص القرآني وفق قواعد اللغة العربية، وربط الجمل القرآنية ببعضها، وربط السور القرآنية ببعضها، وإضفاء تساؤلات مختلفة حول هذا الربط»[(٣)].

---

(١) التعريفات، ص٥٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج١ ص٨.

(٣) تنمية القدرة على تدبر القرآن الكريم، ص٤٣.

ومن التعريفات: «الفهم لما يتلى من القرآن، مع حضور القلب، وخشوع الجوارح، للعمل بمقتضاه»[١].

وعليه فإن مفهوم التدبر يشمل الأمور التالية[٢]:

- معرفة معاني الألفاظ، وما يراد بها.
- تأمل ما تدل عليه الآية أو الآيات، مما يُفهم من السياق أو تركيب الجمل.
- اعتبار العقل بحججه، وتحرك القلب ببشائره وزواجره.
- اليقين بأخباره، والخضوع لتعاليمه.

ومصطلح التدبر ليس المقصود به هو مجرد قراءة آيات القرآن، وتلاوة حروفه، وحفظ كلماته، بل الأمر يتعدى ذلك، يقول أبوبكر الآجري: «وتدبر آياته: اتباعه والعمل بعلمه، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل»[٣]. أي أنه ليست العبرة بالقراءة النظرية المجردة، وإنما الواجب أن يظهر أثر هذه القراءة في العبادة والأخلاق والمعاملات والتصرفات المختلفة.

ويقول الحسن البصري: «نزل القرآن ليتدبر ويعمل به، فاتخذوا تلاوته عملا»[٤]، أي أنهم اكتفوا بالقراءة والتلاوة. ومع أن قراءة القرآن خير وبركة، ولكن ليس المقصود من القرآن أن يقرأه الإنسان، كما يقرأ الكتاب العادي، ولكن الهدف أن يُقرأ، ويظهر أثر القراءة في شخصية الفرد وسلوكه، وعلاقاته الشخصية والاجتماعية، وعباداته القلبية والجوارحية.

---

(١) كيف نتدبر القرآن، ص١٢.
(٢) تدبر القرآن، ص١٢.
(٣) أخلاق أهل القرآن، ص٥٠.
(٤) تلبيس إبليس، ص١٠٩.

وينبغي أن يكون لدى المتدبر الاستعداد الكلي لتطبيق تعاليم القرآن، والتسليم بكل أفكاره ومعانيه، وعدم الالتفات إلى المصالح الشخصية أو التقاليد المجتمعية، والإعراض عنها إذا خالفت القرآن، ومن كان هذا حاله فسيعيش في جنة الدنيا قبل جنة الآخرة.

ومن التدبر للآيات أن يعمل المتعلم بما يقرأ أو يستمع، ولا يكن همه الحفظ فقط، فمن حفظ القرآن عن ظهر قلب فقد حاز خيراً كثيراً، ولكنه لن يبلغ مرتبة العلماء والفقهاء إذا لم تتوفر لديه الدواعي ليعمل بمقتضى كل ما حفظ، يقول ابن تيمية: «المطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به، فإن لم تكن هذه همة حافظه، لم يكن من أهل العلم والدين»(١).

الفروق الفردية في تلاوة القرآن وتدبره

مع أن الواجب على كل مسلم أن يتدبر القرآن، إلا أنه لا بد هنا من الإشارة إلى موضوع الفروق الفردية بين المتعلمين في التعامل مع القرآن، فمن المتعلمين من يكثر من تلاوة الآيات وإنهاء الختمات، بلا تأمل، ولكن ابتغاء الأجور الواردة في ذلك، ومنهم من يجد همته في حفظ الآيات واستظهارها عن ظهر قلب، أكثر مما يجده في الوقوف عند الآيات وتأملها، ومن المتعلمين من لا تساعده خلفيته الثقافية والشرعية على بلوغ المراتب العليا في التأمل والتدبر، بل إن منهم من يشغل وقته بدروس العلم والفقه والحديث، ويقضي معها الساعات الطوال، ليس جهلاً بأهمية التدبر، ولكن لشعوره أن تلك الدروس هي من تدبر القرآن، ولا شك أن تلك الدروس العلمية تؤدي إلى فهم كلام الله، وفهم حديث رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ولا شك أن هناك فرقاً بين قراءة القرآن وتدبر معانيه، وبين قراءة كتب

(١) فتاوى شيخ الإسلام، ج٢٣ ص٥٤.

الفقه، وذلك من ناحية الأفضلية والأجر، وهذا الأمر يختلف من شخص لآخر، يفصل ابن تيمية رحمه الله في هذه المسألة بقوله: «كلام الله لا يقاس به كلام الخلق.. وأما الأفضل في حق الشخص: فهو بحسب حاجته ومنفعته، فإن كان يحفظ القرآن وهو محتاج إلى تعلم غيره، فتعلمه ما يحتاج إليه أفضل من تكرار التلاوة التي لا يحتاج إلى تكرارها، وكذلك إن كان حفظ من القرآن ما يكفيه وهو محتاج إلى علم آخر، وكذلك إن كان قد حفظ القرآن أو بعضه، وهو لا يفهم معانيه، فتعلمه لما يفهمه من معاني القرآن أفضل من تلاوة ما لا يفهم معناه. وأما من تعبد بتلاوة الفقه فتعبده بتلاوة القرآن أفضل، وتدبره لمعاني القرآن أفضل من تدبره لكلام لا يحتاج لتدبره»(١).

ومن المتعلمين من يكون همه فقط الذكر والتسبيح، وليست لديه القدرة لفهم القرآن، وعندما سئل شيخ الإسلام رحمه الله عمن يحفظ القرآن أيما أفضل له: تلاوة القرآن مع أمن النسيان، أو التسبيح وما عداه؟ فأجاب: «الواحد من هؤلاء يجد في الذكر من اجتماع قلبه، وقوة إيمانه، واندفاع الوساوس عنه، ومزيد السكينة والنور والهدى ما لا يجده في قراءة القرآن، بل إذا قرأ القرآن لا يفهمه، أو لا يحضر قلبه وفهمه»(٢).

حقيقة التدبر

من القضايا المهمة أن يعرف المتربي أن تدبر القرآن يكون بالتفكر والتأمل فيما يُدرك بالعقل، وما يقع في حدود إمكانيات العقل البشري، أما ما وراء ذلك من أمور الغيبيات فهي خارج نطاق العقل، والواجب التسليم بها، «فخلاصة الأمر أن التدبر يقع في المعلوم، وهو معرفة التفسير والاستنباط من القرآن، أما ما لا يدركه العقل من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها فالواجب الإيمان بها دون الدخول في اجتهادات لبيانها، وهي مما لا يحصل

(١) فتاوى شيخ الإسلام، ج٢٣ ص٥٥.
(٢) فتاوى شيخ الإسلام، ج٢٣ ص٥٦.

بيانه من جهة العقل، ومتى وقع طلبها من جهته حصل الانحراف والزيغ في شرع الله»[(١)].

ومن امتلأ فكره بتدبر القرآن، وأصبح همه فهم المعاني فسيجد نفسه تلقائياً يبحث عن التطبيقات الخارجية الحية لمواضيع القرآن، ويسعى لجعلها مؤثرةً في حياته وسلوكه، وسيقارن بين الأشخاص لمعرفة الذين تنطبق عليهم أوصاف القرآن. ولا شك أن خير من يمثل تطبيق تعاليم القرآن هم صحابة رسول الله ﷺ، ولذا لا بد أن تُعرّف الأجيال بكيفية قراءة الصحابة رضي الله عنهم وتنفيذهم لمراد الله في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾، حيث «كانت قراءة السلف الصالح من الصحابة القرآن قراءةً طبيعيةً منتجة، مفرزةً السلوك الإيجابي الفعال، شاحنةً الوجدان دافعةً السلوك إلى جلائل الأعمال، تجلو البصائر، فتدرك وظيفة القراءة في تكوين عادات التفكير الناضج، وتدرك العلاقة اللازمة بين النية الطيبة والعمل الطيب، وبين التعليم والاستثمار، ولذلك ربطت بين العلم والعمل، وأدركت المعاني الأولية والثانوية»[(٢)].

(١) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ص٢٠٢.
(٢) تعليم القرآن الكريم، ص٩٩.

المبحث الثاني

غاية التدبر وأهميته

لقد بين المولى سبحانه وتعالى المقصود من إنزال القرآن الكريم، الذي وهو العمل به، والالتزام بتوجيهاته وإرشاداته، وهذه الأمور لا يمكن تحصيلها بدون تدبر القرآن والتفكر في معانيه، ولذلك فإن قراءة ختمة بتدبر وتفكر خير من قراءة عدد من الختمات بدون هذا التدبر. يقول تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، يقول الإمام الطبري: «ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع الله فيه من الشرائع، فيتعظوا ويعملوا به»[(١)]، وقال الشوكاني: «والمعنى كثير الخير والبركة»[(٢)].ولا شك أن القرآن تكمن بركته في أمور كثيرة منها: كثرة أوامره ونواهيه، وتنوع مواعظه وزواجره، وتعدد ترغيباته وترهيباته، ومن بركات القرآن: زيادة حسنات العبد، وفي رفعة مقامه، وفي جلب السعادة له في الدارين، ولا شك أن من يتدبر القرآن يحصل تلك البركات وزيادة.

وقال السيوطي رحمه الله: «تسن القراءة بالتدبر والفهم، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم»[(٣)]. فليس المقصود مجرد التلاوة، وإنما المقصود أن يكون هذا القرآن منهاجاً للعمل وهادياً للسلوك، لأن من تدبر كلام الله كان ذلك دافعاً له للعمل، ومن أحسن العمل نال المنازل العالية في الدنيا

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن.

(٢) فتح القدير، ج٤ ص٤٣٠.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، ج١ ص١٤٠.

والآخرة، ففي الدنيا يحبه الله ويحبه الناس، وترتفع منزلته عندهم، قال ﷺ: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين) رواه مسلم برقم ٨١٧. وفي الآخرة له الدرجات العلى، عن النواس بن سمعان (قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران) وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: (كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان فيهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما) رواه مسلم برقم ٨٠٥.

وبدون العمل، يصبح العلم وبالاً على صاحبه، فما وقر في القلب، وما استوعبه الذهن، يزداد رسوخاً ومضاءً إذا صدقته الأفعال السلوكية، يقول الزرقاني: «وما من شك في أن العمل بالعلم يقرره في النفس أبلغ تقرير، وينقشه في صحيفة الفكر أثبت نقش، على نحو ما هو معروف في فن التربية وعلم النفس، من أن التطبيق يؤيد المعارف، والأمثلة تقيد القواعد، ولا تطبيق أبلغ من العمل، ولا مثال أمثل من الاتباع، خصوصاً المعارف الدينية، فإنها تزكو بتنفيذها، وتزيد باتباعه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩]، أي هدايةً ونوراً، تفرقون به بين الحق والباطل، وبين الرشد والغي»(١). لذلك ينبغي أن يكون علم التدبر دافعاً للعمل المثمر الذي يجلب لصاحبه السعادة في الدنيا والآخرة. وأن يكون النظر في الحروف والكلمات والعبارات القرآنية، ليس من أجل التأمل في جمال الخط ووضوحه، وإنما من أجل أن تكون نبراساً للعمل في هذه الدنيا. وقد ذكر ابن عثيمين رحمه الله ما يؤكد هذه الحقيقة فقال: «أن الله تعالى بين أن الحكمة من إنزال هذا القرآن المبارك أن يتدبر الناس آياته، ويتعظوا بما فيها. والتدبر هو التأمل في الألفاظ للوصول إلى معانيها، فإذا لم يكن ذلك فاتت الحكمة من إنزال القرآن، وصار

(١) مناهل العرفان، ج١ ص٣١١.

مجرد ألفاظ لا تأثير لها، ولأنه لا يمكن الاتعاظ بما في القرآن بدون فهم معانيه»(١).

أهمية تدبر القرآن

١ ـ التفاعل الوجداني والاستجابة لأمر الله تعالى

إن الهدف الأساس من التدبر، هو تحقيق مقصود نزول القرآن وهو العمل به، والمبادرة لتنفيذ ما يأمر به المولى عز وجل وما ينهى عنه، يقول ابن كثير رحمه الله: «فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله... فعلينا أيها المسلمون أن ننتهي عما ذمهم الله به، وأن نأتمر بما أمرنا الله من تعلم كتاب الله المنزل إلينا، وتعليمه، وتفهمه، وتفهيمه»(٢).

ومن عرف القرآن وفهم معانيه يتيقن أنه حق وصدق، فيؤمن به ويستجيب لأحكامه، ويأتمر بأوامره، وينتهي عن زواجره، ويكون حاله كحال أهل الكتاب الذين آمنوا، ولم يغيروا ولم يبدلوا، قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٢ ـ ٥٣].

٢ ـ زيادة الإيمان

إن قراءة القرآن، ومداومة الاتصال معه، والتجاوب مع كلام الله يؤثر إيجابياً في المستوى الإيماني للقارئ المتدبر، وكلما قرأ آيةً أو سورةً أثرت

---

(١) أصول في التفسير، ص٢٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١ ص٨.

في عبادته وإيمانه، قال تعالى واصفاً حال المؤمنين الذين نزل عليهم القرآن: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]. فالقلب يزداد إذعاناً وإخباتاً بالتدبر، والإيمان يزيد رسوخاً بالتدبر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. يقول ابن سعدي رحمه الله: «وجه ذلك أنهم يلقون السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره، فعند ذلك يزيد إيمانهم، لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى ما كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبةً في الخير، أو اشتياقاً إلى كرامة ربهم، أو وجلاً من العقوبات، وازدجاراً عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان»(١).

٣ ـ اكتساب الخشوع

يُعد الخشوع مرتبةً يحصلها من تدبر القرآن، فيشعر بالطمأنينة والسكينة، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]. فالذين اكتسبوا الخشوع نالوا في الدنيا راحة القلوب، وفازوا في الآخرة بالمطلوب، يقول النووي: «ينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع، فهذا هو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب، ودلائله أكثر من أن تُحصر وأشهر من أن تُذكر»(٢).

يقول تعالى واصفاً الذين يتجاوبون مع آيات الله: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٣١٥.
(٢) التبيان في آداب القرآن، ص٦٠.

[الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩]. يقول ابن حجر: «الخشوع هو مقصود التلاوة»[١].

٤ ـ الهداية الشاملة

بين المولى الكريم في كتابه العظيم أن هذا القرآن يرشد أصحابه إلى أفضل الأحوال، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، يقول ابن سعدي: «(أقوم) أي أكرم وأنفس وأصلح وأكمل استقامة، وأعظم قياماً وصلاحاً للأمور»[٢].

والهداية لا تكون إلا لمن يؤمن به، فيتدبره ويعمل به، لأن «الهدف من إنزال القرآن هو أن نتدبر آياته، بمعنى أن نتفكر في معانيها ومدلولاتها وأسرارها وأخبارها حتى نستفيد منها الهداية، ونستفيد منها خشية الله سبحانه وتعالى، وعبادته وحده لا شريك له، ونعرف ما نأتي وما نترك من الأعمال والأقوال والمعاملات وغير ذلك، ولا يتم هذا ولا يحصل إلا بتدبر القرآن»[٣].

وفي التدبر الهداية الشاملة، وترقية الهمة للمراتب العالية، والتوفيق للدرجات الرفيعة، وصلاح الدين والدنيا والآخرة، يقول ابن القيم: «فليس للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر...، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه، وتوطد أركانه...، وتعطيه قوةً في قلبه، وحياةً وسعةً وانشراحاً، وبهجةً وسروراً، فيصير في شأن والناس في شأن آخر...، فلا تزال معانيه تنهض بالعبد إلى ربه...، وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق...، وتناديه كلما فترت عزماته، وونى في سيره: تقدم

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٩ ص٩٢.
(٢) القواعد الحسان، ص١٤٥.
(٣) تدبر القرآن، ص٢١.

الركب وفاتك الدليل. . .، وفي تأمل القرآن وتدبره أضعاف أضعاف ما ذكرنا من الحكم والفوائد»[١].

٥ ـ النصيحة لكتاب الله

النصيحة هي بذل غاية الجهد للقيام بحقوق المنصوح، سواءً كانت الحقوق خاصةً أو عامة، وتدبر كتاب الله الكريم من أقوى دلائل النصيحة التي أرشد إليها رسول الله ﷺ في قوله: (الدين النصيحة)، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) رواه مسلم برقم ٥٥.

يقول ابن رجب: «أما النصح لكتاب الله فشدة حبه وتعظيم قدره، إذ هو كلام الخالق وشدة الرغبة في فهمه، وشدة العناية لتدبره والوقوف عند تلاوته، لطلب معاني ما أحب مولاه، وأن يفهمه عنه، ويقوم به له بعد ما فهمه، وكذلك الناصح من العباد يفهم وصية من ينصحه. . .، فكذلك الناصح لكتاب ربه: يعنى بفهمه ليقوم لله بما أمر به كما يحب ويرضى، ثم ينشر ما فهم في العباد، ويديم مدارسته بالمحبة له، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه. وقال أبو عمرو بن الصلاح: والنصيحة لكتابه: الإيمان به وتعظيمه وتنزيهه وتلاوته حق تلاوته والوقوف مع أوامره ونواهيه، وتفهم علومه وأمثاله، وتدبر آياته والدعاء إليه»[٢].

٦ ـ التلذذ بالقرآن

التلذذ الذي يحصل من التدبر يجد القارئ طعمه في قلبه، بزيادة الإيمان أو براحةٍ في القلب، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].

وللقرآن الكريم لذةٌ في تلاوته، ولذةٌ في الاستماع إلى آياته، ولذةٌ في

(١) مدارج السالكين، ج١ ص٤٥١.
(٢) جامع العلوم والحكم، ج١ ص٢٢١.

تدبر معانيه، ولذةٌ في فهم مراميه، ولا يستشعرها إلا من حقق مطالبها، وإنها لذةٌ لا تعادلها لذةٌ من لذائذ الدنيا، يقول الزركشي: «من لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر، لم يدرك من لذة القرآن شيئاً»(١). وقال ابن جرير الطبري: «إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله، كيف يلتذ بقراءته»(٢).

ولا يتعارض قول ابن جرير مع حقيقة أن بعض الناس قد يلتذ بقراءة القرآن، أو الاستماع إليه، ولو لم يكن فاهماً للمعاني، أو عارفاً للألفاظ، لأن مقصوده التلذذ الأكمل، الذي يكون بمعرفة معاني القرآن، والتأثر بجرسه ومقاطعه، وأسلوبه، وتناسب آياته.

٧ ـ معرفة الحلال والحرام

إن من يتدبر كلام الله يتبين له كثير من الأحكام الفقهية المتعلقة بالحياة، ويتعود على الأساليب القرآنية في توضيح الأوامر والنواهي التي بها سعادة الناس وصلاح معاشهم، فيعينه ذلك على الالتزام بشعب الدين ظاهراً وباطناً، كما أمر الله بذلك في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

٨ ـ الشفاء الحسي والمعنوي

التدبر يدفع العقائد الفاسدة والشكوك المحيرة، فإذا تدبر المؤمن القرآن زالت عنه الشبهات والشهوات التي ترد على الإنسان، فتصرفه عن الطاعات أو تهوي به في بحار المعاصي والظلمات، وفي القرآن الشفاء من ذلك كله، وقد بينه في مواضع عديدة، يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]. ويقول أيضاً: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ج٢ ص١٧١.

(٢) البيان في تأوبل القرآن، ج١٨ ص٦٣.

هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]. ويقول أيضاً: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

يقول ابن جرير رحمه الله عن آية سورة الإسراء: «يقول تعالى ذكره: وننزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل ومن الضلالة، ويبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به، لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويحلون حلاله، ويحرمون حرامه، فيدخلهم بذلك الجنة، وينجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله أنعمها عليهم»(١).

والرقية الشرعية التي يُستشفى بها من الأمراض الحسية تستلزم قراءة القرآن بتدبر وتأمل، حتى تكون نافعةً بإذن الله، وليست القراءةَ الهذرمية التي لا خشوع فيها ولا إخبات.

يقول ابن القيم رحمه الله: «فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العبد التداوي به بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبداً. وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء؟ الذي لو نزل على الجبال لصدعها وعلى الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه، وسببه، والحمية منه، لمن رزقه الله فهماً في كتابه، وأما الأدوية القلبية فإنه يذكرها مفصلةً، ويذكر أسباب أدوائها وعلاجها»(٢).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ج٨ ص١٣٩.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٤ ص٣٥٢.

الفصل الثاني

قواعد أساسية في تعليم التدبر

مقدمة في التعلم والتعليم

المبحث الأول: قواعد أساسية تتعلق بطرق التدريس

أولاً ـ العناية بالتمهيد التربوي

ثانياً ـ مراعاة التدرج في تعليم التدبر

ثالثاً ـ التحضير الجيد للدرس القرآني

رابعاً ـ استخدام أسلوب التعلم التعاوني

خامساً ـ استخدام الوسائل التعليمية المناسبة

المبحث الثاني: قواعد أساسية تتعلق بالمحتوى الدراسي

أولاً ـ أهمية الاستعاذة للتدبر

ثانياً ـ شرح الكلمات والجمل والآيات

ثالثاً ـ ربط أحكام التجويد بالمعاني

رابعاً ـ الموعظة والتحذير من الذنوب الصارفة عن التدبر

خامساً ـ إدراج حصة التدبر في الدرس القرآني

سادساً ـ التربية على شكر نعمة التدبر

مقدمة في التعلم والتعليم

التعلم هو عملية بشرية، يكتسب الفرد عن طريقها معلوماتٍ وخبراتٍ جديدة، فتؤثر في سلوكه وتصرفاته، وتحقق له رغباته ومتطلباته، وهي وإن كانت ذات مجهود شخصي ذاتي، إلا أنها قد تحصل بمعونة معلم وإرشاد خبير، وهذه العملية تشمل عمليات متعددة منها النمو والتدريب والاستجابة والاكتساب والتغيير والزيادة والنقصان، وقد يكون التعلم إيجابياً أو سلبياً بالقياس إلى مرغوبات المربي أو المجتمع، أما التعليم فهو ما يقوم به شخص ذو خبرة ما لمساعدة شخص آخر لإكسابه تلك الخبرة.

وقد أوضحت كثير من الدراسات النفسية المعاصرة كيفية حصول التعلم لدى الناشئ، فقد تكون الخبرات المكونة للشخصية سلوكاً مكتسباً كالقراءة والكتابة، وقد تكون غريزةً فطريةً كالحلم والأناة، وقد تكون هذه الخبرات متأثرةً بالعوامل الوراثية كالقيادة والشجاعة، وكل ذلك ينتج بتقدير العليم الخبير سبحانه وتعالى، وتتعدد الطرق في ذلك، إلا أن المحصلة واحدة وهي التعلم، يقول محمد جميل وفاروق عبدالسلام، وهما من علماء النفس المعاصرين: «التعلم هو ذلك النمو الذي يأتي عن طريق التدريب وبذل الجهد، وخلال التعلم يكتسب الطفل الاقتدار على استخدام إمكاناته الوراثية...، ويأتي بعض التعلم من التدرب، أو من مجرد تكرار فعل ما، ويمكن أن يوصف ذلك بالتقليد، وفيه يتطابق الطفل شعورياً مع ما يراه من الآخرين، وقد يتكون التعلم من عملية تقمص، حيث يحاول الطفل أن يتبنى لنفسه قيم واتجاهات ودوافع وسلوك الأشخاص الآخرين الذين يحبهم، أو

يعجب بهم. وقد يأتي التعلم عن طريق التمرين، أي من النشاط الاختياري الموجه الهادف، حيث يوجه الطفل في سلوكه عن طريق الكبار أو الأطفال الأكبر سنا الذين يحاولون تشكيل سلوكه إلى أنماط يمكن أن تحقق له الرضا، وتكون مقبولةً من أفراد جماعته الاجتماعية»(١).

ولا يقتصر التعلم وطرقه على مرحلة الطفولة، بل إن هذه الطرق تقوم بدورها في المراحل الأخرى لنمو الكائن الإنساني.وعند إضفاء هذه المفاهيم المعاصرة على التدبر، يتبين لنا أن معظم هذه الطرق يتيسر الاستفادة منها لتحصيل التدبر، وتعين كثيراً في اكتساب أحد أشكال التعلم الثلاثة، وهذه الأشكال الثلاثة هي:

أ - **اكتساب سلوك جديد:** حيث يكتسب المتعلم نتيجةً للخبرة سلوكاً لم يكن ضمن حصيلته السلوكية.

ب - **التخلي عن سلوك**: فقد يتخلى الفرد عن سلوك، عندما يتم إتباع هذا السلوك بعقاب أو نتيجة غير مرغوبة.

جـ - **تعديل سلوك**: بزيادة تكرار السلوكيات المرغوب بها، وتقليل من تكرار السلوكيات غير المرغوب بها(٢).

وبناءً على هذه الأشكال التعلمية، فإن التدبر قد يكون معدوماً لدى المتربي أو ضعيفاً، فيتعدل بالتعلم أو بالتعليم، ليصبح متوفراً أو قوياً.

وفيما يتعلق بالتعلم حاول علماء النفس تفسير الطرق التي يتبعها الإنسان في تعلمه عملاً جديداً، وهناك بعض الطرق التجريبية منها:

أ - المحاولة والخطأ.

---

(١) النمو من الطفولة إلى المراهقة، ص ١١٧.

(٢) علم النفس، ص١٣٧.

ب ـ التعلم بالبصيرة.

جـ ـ التعلم بطريقة الترابط.

وتحقق مثل هذه الطرق نتائج إيجابية في تقوية الارتباط الوجداني نحو المفاهيم والمعلومات، وهو ما يمكن أن نسميه بتكوين الاتجاه الذاتي نحو تدبر القرآن، وهذا الموضوع يتعلق بعملية التنشئة الاجتماعية التي يسعى المربون لغرسها في نفوس المتعلمين، أو تتأصل في نفسية المتعلم نتيجة الخبرة الذاتية أو تأثير البيئة التعليمية. ويسهم الاتجاه في تحديد الوسائل والطرق المعينة في تلبية حاجته، فمعرفة الاتجاه وتقويته ضروريان لنجاح العملية التربوية.

ويعرف المتخصصون الاتجاه بأنه: «استعداد وجداني مكتسب ثابت نسبياً يميل بالفرد إلى موضوعات معينة فيجعله يقبل عليها ويحبذها أو يرحب بها ويحبها أو يميل عنها ويكرهها»(١).

ولا ريب أن جعل هذا الاستعداد الوجداني نحو التدبر ثابتاً يتطلب القيام بوسائل متنوعة تدفع المتعلمين لذلك، وقد ذكر الدكتور محمد الدويش بعض الوسائل والأهداف التي تعين على تنمية الاتجاه نحو التدبر، ومنها(٢):

- تنمية محبة القرآن الكريم لدى المتعلم.
- إبراز يسر فهم القرآن.
- غرس اليقين بالنص القرآني لدى المتعلم.
- إشعار المتعلم بأن الآية موجهةٌ إليه.
- ربط القرآن بواقع المتعلمين.
- تأكيد الغاية من إنزال القرآن.

---

(١) أساسيات القياس والتقويم في التربية والتعليم، ص٣٠٤.

(٢) تنمية القدرة على تدبر القرآن الكريم، ص ص٨٢ ـ ٨٥.

وإذا أردنا أن نتعامل مع عملية التدبر كغيرها من الجوانب المعرفية السلوكية، من حيث توضيح طرق التدريس والإجراءات المناسبة لتحقيقها، فإنه يستلزم التنبيه على بعض القواعد المهمة. وهذه القواعد ينبغي تأكيدها في كل المراحل العمرية أو الدراسية، وهي مما ينبغي أن يدعمها المسؤولون التربويون والمنظرون للمؤسسات القرآنية، وقد قُسِّمت هذه القواعد إلى قسمين: القسم الأول يتعلق بالقواعد التي لها علاقة مباشرة بطرق التدريس، وهي كما يلي:

أولاً ـ العناية بالتمهيد التربوي.

ثانياً ـ مراعاة التدرج في تعليم التدبر.

ثالثاً ـ التحضير الجيد للدرس القرآني.

رابعاً ـ استخدام أسلوب التعلم التعاوني.

خامساً ـ استخدام الوسائل التعليمية المناسبة.

والقسم الثاني يتعلق بالقواعد التي لها علاقة مباشرة بالمحتوى الدراسي، وهي كما يلي:

ومن هذه القواعد ما يلي:

أولاً ـ الاهتمام بالاستعاذة.

ثانياً ـ شرح الكلمات والجمل والآيات.

ثالثاً ـ ربط أحكام التجويد بالمعاني.

رابعاً ـ الموعظة والتحذير من الذنوب الصارفة عن التدبر.

خامساً ـ إدراج حصة التدبر في الدرس القرآني.

سادساً ـ التربية على شكر نعمة التدبر.

المبحث الأول

قواعد أساسية تتعلق بطرق التدريس

أولاً ـ العناية بالتمهيد التربوي

يؤكد أساتذة التربية وطرق التدريس في جميع المراحل التعليمية عدم بدء المعلم في صلب الموضوع بمجرد دخوله إلى الفصل، وإنما استحسنوا البدء بما يسمى التمهيد التربوي، والتمهيد التربوي هو أن يبدأ المعلم درسه بمدخل منطقي، يهيء الأذهان لقبول المعلومات التالية له.

وللتمهيد التربوي «أثره التربوي على فهم التلاميذ وانتباههم، فهو من شروط التعلم الجيد، حيث يثير الدافعية لدى المتعلم، ... وله قواعد معرفية وتربوية وتحفيزية على استعدادهم»(١).

فالتمهيد يساعد على فهم الآيات قبل أو أثناء قراءتها، وهو خطوةٌ ضروريةٌ للتربية على التدبر، وله صور متعددة، ومن أجل ذلك لا بد للمعلم أن يستعد لهذا التمهيد ويعد له عدته. ومن صوره: البدء بذكر أسباب النزول المتعلقة بالآيات، أو الربط بالآيات أو السور السابقة، أو ذكر قصة مناسبة للموضوع أو غير ذلك من الصور. فمن خلال الآيات المقروءة، على معلم القرآن أن يبدأ درسه القرآني بإثارة مشكلة حيوية، أو قضية معاصرة في المجتمع الذي يعيش فيه المتعلمون، ويدور التساؤل فيها مع الطلاب للفت أنظارهم وشد انتباههم إلى إشارة القرآن إليها، ومعالجة الإسلام لها.

---

(١) مهارات التدريس في الحلقات القرآنية، ص١٤٣.

وللتنويع في صور التمهيد آثاره التربوية التي تدعم عملية التدبر في دروس القرآن المختلفة، يقول عدنان باحارث[١]: «ويمكن للمعلم أن يستفيد من الأمور التالية في تمهيده للدروس، مع مراعاة التنويع والبعد عن الرتابة المملة:

أ - عرض عام لأهم ما يدور حول الآيات المخصصة للقراءة من أحكام وأفكار، وسبب نزولها.

ب - عرض قصة قصيرة تناسب موضوع الدرس.

جـ - توجيه أسئلة توصل إلى موضوع الدرس.

د - محاولة ربط الدرس السابق بالدرس الحاضر.

هـ - التحدث - عن موضوع ذي علاقة بالدرس الجديد -».

وقد يبدأ المعلم في الحلقة القرآنية أو في المدرسة بالتعليق الموجز على الآيات، ثم ينتقل إلى خطوات أخرى في الدرس، «وهذا التعليق ينصب حول المعاني العامة للآيات دون الدخول في تفاصيل المعاني الذي هو شأن درس التفسير. والتعليق الموجز للمعلم له أثره على حفز المتعلمين على تدبر الآيات التي يتلونها في الدرس، وكلما كان موجزا وًمركزاً ومرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالآيات وبواقع المتعلم أسهم في أداء وظيفته بشكل أفضل»[٢].

ثانياً - مراعاة التدرج في تعليم التدبر

لا يخرج المسلم من بطن أمه متدبرا، كما أن الوصول بالمتربي إلى مرحلة التدبر والمعايشة التربوية والفكرية للآيات لا يمكن أن يُتحصل عليها بين عشيةٍ وضحاها، بل إن الأمر دونه خطوات وخطوات. وقد خلق الله

---

(١) طرق تدريس مواد التربية الإسلامية، ص١٨.

(٢) تنمية الاتجاه نحو التدبر، ص ص٨٢ - ٨٥.

الإنسان وليس عنده رصيد من العلم، ثم زوده بالآلات والأدوات التي تعينه على تحصيل المعرفة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. وفي تعليم التدبر يحسن بالمربي أن يتأنى ويأخذ بمبدأ التدرج التربوي.

وقد بينت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التدرج التربوي في نزول القرآن، تقول رضي الله عنها: «أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً»، رواه البخاري برقم ٤٩٩٣. قال ابن حجر: «أشارت إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك نزلت الأحكام، وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف»[١]. فالتدرج أسلوب تربوي فعال، وله أثره في غرس القيم وتكوين الاتجاهات.

والتدرج التربوي يكون بإعطاء المعلومات والمفاهيم شيئاً فشيئاً أو حالاً فحالاً، وتوزيعها على الساعات والأيام، مع مراعاة التقدم العمري للمتربين، ومدى استيعابهم لها، وهذا الأسلوب يتبعه المعلم الرباني الذي يبدأ بصغار العلم قبل كباره، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وإذا أراد المربي التدرج في تعليم التدبر يلزمه البدء النظري بالتعاريف والأهمية والثمرة، ثم الانتقال إلى التطبيقات العملية على الآيات والسور القرآنية، وهذه الأخيرة تتدرج كالتالي:

أ - البدء بالسور القصيرة (الفاتحة وجزء عم ثم جزء تبارك).

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٩ ص٤٠.

ب ـ الانتقال إلى سور المفصل (جزء المجادلة إلى ق).

جـ ـ الانتقال إلى سور المئين (يوسف والإسراء والكهف وطه والحج وغيرها).

د ـ الانتقال إلى السور الطوال (البقرة وآل عمران والنساء والأعراف وغيرها).

وفي التطبيقات العملية يمكن أن تؤخذ سورةً بكاملها، أو تؤخذ مقاطع محددة ذات فكرة واحدة أو موضوع واحد، ثم الانتقال إلى مقطع له أكثر من فكرة أو موضوع.

ويمكن الاستفادة من منهج السلف في تحزيب القرآن لتطبيق مبدأ التدرج التدبري، وجعله في مستويات تتناسب مع المراحل العمرية للمتعلمين، وهذا المنهج ذكره ابن تيمية في فتاويه، يقول رحمه الله: «فالصحابة إنما كانوا يحزبونه سوراً تامة، لا يحزبون السورة الواحدة، ثم ذكر حديث أوس بن حذيفة، وفيه: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن؟ قالوا ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل واحد، وفي رواية أخرى: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ: كيف كان رسول الله ﷺ يحزب القرآن؟ فقالوا: كان رسول الله ﷺ يحزبه ثلاثاً وخمساً...»(١).

وقد أكد علماء المناهج وطرق التدريس على أسلوب التدرج في تدريس المواد، ووضعوا قواعد أساسية تُبنى عليها طرق التدريس، وهي كما يلي(٢):

أ ـ التدرج من المعلوم إلى المجهول.

ب ـ التدرج من السهل إلى الصعب.

(١) الفتاوى، ج١٣ ص٤٠٥.

(٢) التربية وطرق التدريس، ج١، ص٢٤١ ـ ٢٤٤.

جـ ـ التدرج من البسيط إلى المركب.

د ـ التدرج من المبهم إلى الواضح المحدد.

هـ ـ التدرج من المحسوس إلى المعقول.

و ـ التدرج من الجزئيات إلى الكليات.

ز ـ التدرج من العملي إلى النظري.

وعلى المتخصصين أن يستفيدوا من هذا التقسيم التدريجي في وضع مفردات منهج التدبر، كما أن على المعلمين مراعاته حين تدريس الطلاب، كل حسب استعداداته وقدراته وميوله.

ويفيد هذا التقسيم أيضاً في حلقات تحفيظ القرآن، بحيث تجمع تلك الحلقات بين التلاوة والحفظ والتدبر. ويقترح د. القاري «أن توضع المناهج في تحفيظ القرآن على هذا الأساس، فلا يَكتفي التلميذ المبتدئ بحفظ نص الآيات وتجويدها، بل يُعطى شيئاً من تفسيرها وفقهها، على قدر مستواه والمرحلة التي يجتازها، فيُقسَّم منهج الحفظ إلى دروس، كل درس منها يتكون من خمس آيات، أو عشر آيات، يتعلم تجويدها، وحفظها، وتفسيرها، وما فيها من فقه في وقتٍ واحد، فهذا أقوى حتى لحفظ النص، ومن التزم ذلك نرجو أنه يبارَك له جزاء اقتدائه بالمنهج النبوي»[١]. ومن اقتدى بالنبي ﷺ في جميع أحواله فقد أفلح ورشد.

وكنموذج لهذا التدرج يمكن التطبيق على السور القصار المبتدئة بالضحى والمنتهية بالناس، حيث يقوم المعلم بالخطوات التالية:

- تلاوة المعلم للسورة وقراءتها بالتجويد.
- الاستماع إليها من أحد الطلاب أو عن طريق أحد الأجهزة.

(١) سنن القراء ومناهج المجودين، ص ٢٩.

- بيان الأحكام التجويدية وكيفية أدائها.
- توضيح معاني الكلمات الصعبة والغريبة.
- شرح المعنى الإجمالي للسورة.
- ذكر سبب النزول ـ إن وُجد ـ وتوضيحه.
- بيان الفوائد والدروس من سبب النزول.
- بيان الأحكام الفقهية المشار إليها في السورة.
- بيان المسائل العقدية في السورة.
- بيان التوجيهات التربوية في السورة.
- حفظ السورة وتسميعها عن ظهر قلب.

ثالثاً ـ التحضير الجيد للدرس القرآني

يعتبر المعلم المربي ركناً أساسياً في عملية تعليم التدبر، ولكي تؤتي هذه العملية التعليمية آثارها، وتبرز نتائجها في سلوك المتعلمين، ينبغي أن يكون المعلم متدبراً قبل أن يُعلم التدبر، إذْ إن فاقد الشيء لا يعطيه، ولا يعتدل الفرع إذا كان الأصل معوجاً، إلا أن يشاء الله، والواقع يشهد بأن جُلّ معلمي القرآن لا يُحضِّرون للدرس القرآني.

ولكي يكون المربي مؤثراً، عليه أن يستعد لدرسه القرآني الذي يعنى بالتدبر بعدد من الخطوات، ومنها:

- تصحيح النية، واستحضار قول النبي ﷺ في حديث الخيرية: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) رواه البخاري في فضائل القرآن برقم ٥٠٢٧.
- تلاوة الآيات والخشوع عند قراءتها.
- مراجعة معاني الكلمات والألفاظ القرآنية، والمعنى الإجمالي للآيات.

- دراسة تفسير الآيات من أحد كتب التفسير المعنية بالرواية أو الدراية، أو الجمع بينهما.
- النظر في المصحف وتكرار الآيات عدة مرات، مع التركيز الشديد أثناء قراءتها.
- التفكر في الآيات، واستشعار معانيها، واستخراج الفوائد منها.
- استشعار عظمة كتاب الله في قلبه، وعظيم ما سيقوم به من تدريس وتعليم.
- احتساب الأجور والحسنات التي سيحصلها من التلاوة والتعليم، والصبر على ذلك.
- اللجوء إلى الله، والإلحاح عليه بأن يهدي قلبه، ويشرح صدره، ويزيده فهماً للقرآن.

ولا شك أن الخطوات التي يقوم بها المعلم سوف يظهر أثرها على طلابه، بل ويلحظ بجلاء تغير نبرات الصوت مع تلاوة الآيات، والوقوف عند بعض المقاطع والكلمات، مما يبين المعنى ويحرك قلوب المتعلمين، ويزيدهم خشوعا. وسيلاحظ المعلم قبل المشرف أن أداءه يتحسن كلما كرر عرض الآيات واستحضر معانيها، وأداؤه في المرة الثانية أفضل من المرة الأولى، والثالثة أفضل من الثانية، وهكذا.

فعلى سبيل المثال ليتأمل المعلم الآيات التالية من سورة هود: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٥ ـ ١٠٨].

وإذا تأملها وكررها عدة مرات، ثم قرأها في الفصل، وتوقف عن التلاوة عند بعض كلماتها، وهو مستشعر لمعانيها، فإنه سيكون لها الأثر العجيب في

نفوس المستمعين، وستؤدي وظيفتها في التدبر الفعلي للآيات. ويُنصح المربي بالرجوع إلى كتابي (مفتاح دارالسعادة) و(بدائع التفسير) وكلاهما لابن القيم رحمه الله، لاقتباس بعض شروحاته للآيات، وتدبره وتأمله فيها، وربط ذلك بالواقع.

وعلى المربي أن يقيس مدى التزامه بالتدبر من خلال قراءته للآيات، فعلى سبيل المثال هل يخشع قلبه ويخاف حين القراءة، كما أخبر المولى عن حال المؤمنين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٥].

ومن الآيات التي تقيس مدى تفاعل المربي مع الآيات قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣]. فإذا سمع كلام الله تغيرت أحواله، وتبدلت تصرفاته، وتحول حاله إلى الأحسن.

والمربي المتدبر يتأمل ما في الآيات من الوعد والوعيد، والأوامر والنواهي، فيتفاعل قلبه، وتزكو نفسه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

يقول ابن كثير رحمه الله: «أي هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه:

أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نغمات الأبيات من أصوات القينات.

الثاني: أنهم إذا تُليت عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً، بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم، كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها، بل مصغين إليها، فاهمين بصيرين بمعانيها، فلهذا إنما يعملون بها، ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم.

الثالث: أنهم يلزمون الأدب عند سماعها كما كان الصحابة رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله تعالى من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم، ثم تلين قلوبهم إلى ذكر الله، ولم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون بما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك، ولهذا فازوا بالمدح من الرب الأعلى في الدنيا والآخرة[١].

رابعاً ـ استخدام أسلوب التعلم التعاوني

التعلم التعاوني هو طريقة من طرق التدريس المعاصرة التي يستخدمها المعلم في الفصل لتوصيل المعلومات للطلاب بطريقة غير مباشرة، وفيها يشترك عدد من الطلاب (من ٢ ـ ٨) ويتعاونون فيما بينهم لتحقيق أحد أهداف المادة التدريسية، بإشراف المعلم.

ولهذه الطريقة مزايا متعددة منها:

١ ـ تذكر المعلومات لفترة أطول.

٢ ـ زيادة الدرجات المكتسبة، ورفع التحصيل الأكاديمي.

٣ ـ استعمال عمليات التفكير العقلي بصورة أكبر.

---

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص١١٨٦.

٤ ـ زيادة الأخذ باقتراحات الآخرين وأفكارهم.

٥ ـ زيادة الدافعية الداخلية للتعلم.

٦ ـ تقوية العلاقات الاجتماعية بين الفئات غير المتجانسة.

٧ ـ تحسين النظرة تجاه المدرسة وتجاه المدرسين.

٨ ـ زيادة التوافق النفسي الإيجابي للمتعلمين.

٩ ـ اكتساب مهارات تعاونية أكثر.

١٠ ـ زيادة السلوكيات التي تركز على العمل.

والتعلم التعاوني يساعد المتعلم على إعمال الذهن، والتفكير الذاتي في القضية المطروحة، وليس مجرد أخذ المعلومات من الآخرين، ويساعد أيضاً على ترسيخ المعلومات وتثبيتها، وجعلها ضمن المنظومة الفكرية للمتعلم، وبالتالي سيؤدي إلى تقمصها والعمل بها، يقول إبراهيم الحارثي: «إننا بحاجة إلى الانتقال من حالة نقل المعلومات أو نقل المعنى الذي لدينا إلى حالة مساعدة الآخرين على تكوين المعنى الخاص بهم، فالمعنى لا ينتقل وإنما يُبنى في النفس البشرية في ضوء بنيتها الذهنية وخلفيتها الثقافية، وطريقة تصورها وإدراكها للأمور»[١]. أي إنه بالتعاون المشترك مع الآخرين، تُبنى المعاني، وبهذه الطريقة يُغرس مفهوم التدبر في أذهان المتعلمين.

أما كيفية استخدام التعلم التعاوني في درس التدبر، فهناك العديد من الاستراتيجيات والخطوات التي تناسب هذا الأسلوب، وهناك الكثير من الفعاليات والأنشطة التي يُكلف بها الطلاب، ويتربون من خلالها على التدبر، ومنها ما يلي:

ـ تكليف كل مجموعة من مجموعات التعلم التعاوني بتحضير سورة من سور

(١) تدريب المعلمين على تعليم مهارات التفكير بأسلوب التعلم التعاوني، ص٧.

القرآن، والرجوع إلى أحد التفاسير، ومناقشتها في الحصة القرآنية.

- توزيع كتب التفسير على المجموعات الطلابية بحيث ترجع كل مجموعة إلى أحد التفاسير لتحضير سورة أو مقطع محدد، أو آيةٍ واحدةٍ فقط.
- تكليف كل مجموعة باستخراج معاني الكلمات والجمل من التفاسير وأقوال أهل العلم، واستخدام معاجم اللغة وكتب الفروق والأشباه والنظائر، والمترادفات والمتضادات.
- جمع استعمالات لفظةٍ ما في القرآن، من خلال المعجم المفهرس مثلاً، ثم المقارنة بينها، ومحاولة استنباط المعنى الجامع المشترك بينها.
- تكليف كل مجموعة بربط الآيات بالواقع، واستنباط الدروس والعبر، كل حسب قدراته وخبراته.
- الاستماع المشترك للآيات من خلال أحد الأجهزة، ثم حث كل مجموعة على استخراج المعاني العامة للآيات.

ويلاحظ أنه بهذه الطريقة يتحمس المتعلمون للبحث عن المعلومات، ويزدادون معرفةً بالكتب ذات العلاقة بموضوع التدبر، بالإضافة إلى تحصيل الهدف المعرفي الأساسي للمادة.

ورغم أن وقت اللقاء القرآني، سواءً في الحصص الدراسية أو في الحلقات القرآنية، قد لا يكفي لتنفيذ التعلم التعاوني، إلا إنه يمكن تجاوز هذه السلبية بإقامة هذا الأسلوب المهم في بعض برامج الأنشطة اللاصفية، أو أثناء اللقاءات المسائية.

خامساً ـ استخدام الوسائل التعليمية المناسبة

تعتمد طرق التدريس على عدة محاور، منها المعلم، والمادة التعليمية، والوسائل التعليمية المعينة. وتُعرف الوسيلة التعليمية بأنها: «المثيرات التي يتم عن طريقها التعلم الفعال نتيجة الاتصال المباشر أو غير المباشر بين المرسل

(المعلم) والمستقبل (المتعلم) باستخدام أدوات ومواد وأجهزة متنوعة»[١].

وقد أثبتت التجارب أن استخدام الوسائل، سواءً كانت مواد تعليمية، أو ملصقات، أو أجهزة تعليمية، يوفر الجهد والوقت في استيعاب الطلاب للمواد الدراسية، وتيسير فهم الأفكار المجردة، وتحقيق الأهداف التربوية المنشودة. كما تكمن أهمية هذه الوسائل في أنها[٢]:

أ - تستثير اهتمام التلميذ، وتقدم له خبرات متنوعة.

ب - تجعل الطالب أكثر تقبلاً واستعداداً لتقبل المادة الدراسية.

جـ - تنويع الخبرات للطلاب، فتتيح لهم الفرصة للمشاهدة والاستماع والتأمل والتفكير.

د - تنويع أساليب التعليم لمواجهة الفروق الفردية بين التلاميذ.

ويمكن الاستفادة من الوسائل السمعية والبصرية، والأجهزة المعاصرة في ربط المتعلمين بكتاب الله، وزيادة تدبرهم وتفهمهم له من خلال استخدام السبورة العادية، حيث تُعرض الآيات أو المعاني أو الاستنباطات، كما يُستخدم الحاسب الآلي في عرض معاني الآيات، ومعاينة المشاهد المصورة التي توضح بعض مخلوقات الله من خلال الآيات القرآنية المتلوّة. ويمكن الاستفادة من بعض مواقع الشبكة العنكبوتية، من حيث توفير الوقت في الرجوع إلى أقوال جميع المفسرين لآية أو سورة من كتاب الله، مما يزيد من استيعاب المتعلم وتوسيع أفقه في تدبر كتاب الله.

والقرآن الكريم مليئ بالآيات التي تربط القارئ بالكون وما فيه من مخلوقات عظيمة، ذات دلالة على قدرة الله، وعظيم سلطانه سبحانه وتعالى، يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣]، وقال أيضاً: ﴿هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ

(١) المبادئ العامة للتربية، ص٤٠.

(٢) الوسائل التعليمية وعلاقتها بتقبل الطالب للمادة الدراسية، ص٣٤.

﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [لقمان: ١١].

ويمكن تدبر هذه الآيات من خلال الشرح النظري، أو التأمل الفردي، ولكن إذا أحسن المتخصصون استثمار الدمج بين عرض الآيات والوسائل التعليمية، حصل شيء من المقصود، وزاد مستوى التفكر في مخلوقات الله، مما يزيد الإيمان ويقوي الصلة بالله لدى المتعلمين. ولكي لا تخرج هذه الوسيلة عن هدفها الأساسي يشترط في هذا الدمج ألا يكون متكلفاً، وأن يكون خالياً من المخالفات الشرعية والتربوية.

وقد يكون التدبر بعرض وإعداد أفلام تعليمية تبين عظمة الله في الكون، وربط ذلك بالآيات القرآنية. ولا ريب أن عرض الآيات مرتبطةً بتلك المشاهد المصورة والأصوات المؤثرة يزيد من تشويق المتعلمين وتفاعلهم، مما يكون له الأثر البالغ في سلوكهم واتجاهاتهم وأفكارهم. وتمتاز الأفلام التعليمية أيضاً بما يلي(١):

أ - الجمع بين الصوت والصورة والحركة، فتشترك حاستان(أو أكثر)، في استقبال المعرفة، مما يؤدي إلى زيادة فاعلية التعلم، حيث تؤدي كل حاسة إلى تعزيز التعلم الذي يتم عن طريق الحواس الأخرى.

ب - تساعد مشاهدة الأفلام على تنمية القدرة على التفكير وحل المشكلات، فقد تبين أن المشاهد يتذكر محتويات الفيلم نتيجة فهمه للموضوع، وإدراكه العلاقات بين عناصره، وليس مجرد حفظه لواقع الدرس.

---

(١) المرجع السابق، ص٨٠.

المبحث الثاني

قواعد أساسية تتعلق بالمحتوى الدراسي

أولاً ـ الاهتمام بالاستعاذة

أمر الله في كتابه الكريم بالبدء في الاستعاذة حين قراءة القرآن، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. ومن المسلمات الإيمانية أن الشيطان يجتهد لصرف العبد عن أنواع العبادة، ومن ذلك اجتهاده في صرف قارئ القرآن عن تدبره وتفهم معانيه، فيلجأ المسلم إلى ربه لكي يعيذه من شروره ويحيمه من نوازغه، وينصرف إلى عبادة ربه بثقةٍ واطمئنان، وقد دل القرآن على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]. «ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أُمرت به، أو يحثني على فعل ما نُهيت عنه»[١].

وكان من هديه ﷺ البدء بها حين القراءة والصلاة، عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة استفتح ثم يقول: (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم ٢٠١.

ولذا لا بد أن يتعرف الطلاب على أحكام البسملة والاستعاذة قبل البدء

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص١٨.

بقراءة القرآن الكريم، واعتبار أن ذلك شرطاً أساسياً لفهم وتدبر القرآن، وليس مجرد أمر متعوّد عليه، يفعله القارئ بدون تفكر. كما أن عليه أن يعوده على الالتزام بها، ويتابعه في ذلك، منبهاً إياه إذا أخطأ أو نسي.

والمربي يبين فائدة الاستعاذة لقارئ القرآن، وعظيم الأجر المترتب على قراءتها، يقول فايز الزور: «إنك حينما تقرأ القرآن تصبح في كنف الله ورعايته، وإن الشيطان لينفر ويهرب، ويولي مدبراً، لذا أمرنا الله بالاستعاذة عند قراءة القرآن، طالبين اللجوء إلى الله، والحفظ من الرياء، ومن ضياع الأجر والثواب بسبب وساوس الشيطان وكيده»(١).

وقد ذكر ابن القيم في كتابه (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان)(٢) فوائد عظيمة للاستعاذة، وذكر أهميتها لتدبر القرآن وفهم معانيه، ومن هذه الفوائد ما يلي:

أ - طرد عوامل الوسوسة والشهوة، والمقاصد السيئة من القلوب، حيث يقول ابن القيم رحمه الله: «القرآن شفاء لما في الصدور، يُذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس والشهوات والإرادات الفاسدة، فهو دواء لما أمرَّه فيها الشيطان، فأُمر أن يطرد مادة الداء، ويخلي منه القلب، ليصادف الدواء محلاً خالياً، فيمكن منه، ويؤثر فيه كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلباً خالياً فتمكنا

فيجئ هذا الدواء الشافي إلى القلب، وقد خلا من مزاحم ومضاد له، فينجح فيه»(٣).

---

(١) دروس في ترتيل القرآن الكريم، ص١٧.
(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج١ ص ص ٩٠ ـ ٩٨ بتصرف.
(٣) إغاثة اللهفان، ج١ ص٩٢.

ب ـ المحافظة على الجوانب الخيرة في القلب، حيث يقول ابن القيم رحمه الله: «القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب، كما أن الماء مادة النبات، والشيطان يحرق النبات أولاً فأولاً، فكلما أحس بنبات الخير من القلب، سعى في إفساده وإحراقه، فأُمر ـ أي المؤمن ـ أن يستعيذ بالله عز وجل منه، لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن، والفرق بين هذا الوجه والوجه الذي قبله، أن الاستعاذة في الوجه الأول لأجل حصول فائدة القرآن، وفي الوجه الثاني لأجل بقائها، وحفظها وثباتها»[(١)].

جـ ـ تحصيل الانتفاع من القراءة بصرف الشواغل الشيطانية، يقول ابن القيم: «الشيطان يجلب على القارئ بخيله ورجله، حتى يشغله عن المقصود بالقرآن، وهو تدبره وتفهمه، ومعرفة ما أراد به المتكلم به سبحانه، فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن، فلا يكمل انتفاع القارئ به، فأُمر عند الشروع أن يستعيذ بالله عز وجل منه»[(٢)].

د ـ صد الأفعال الشيطانية المؤثرة على التدبر، يقول ابن القيم: «أخبر سبحانه أنه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، والسلف كلهم على أن المعنى: إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته، فإذا كان هذا فعله مع الرسل عليهم السلام فكيف بغيرهم. ولهذا يُغلط القارئ تارةً، ويخلط عليه القراءة، ويشوشها عليه، فيخبط لسانه، أو يشوش عليه ذهنه وقلبه، فإذا حضر عند القراءة لم يعدم منه القارئ هذا، أو هذا، وربما جمعهما له، فكان من أهم الأمور الاستعاذة بالله تعالى منه»[(٣)].

إن هذه الإبداعات النفسية التي يذكرها ابن القيم لمقاومة الشيطان من

---

(١) المرجع السابق، ج١ ص٩٢.
(٢) إغاثة اللهفان، ج١ ص٩٣.
(٣) المرجع السابق، ج١ ص٩٣.

الأمور المهمة التي ينبغي ترسيخها في أذهان المتعلمين، وعلى المربي التأكد من فهمهم لها، ويكون ذلك مثلاً بذكر مزيد من الأمثلة لوسوسة الشيطان، أو استنطاق التلاميذ ليذكروا مشاعرهم النفسية أثناء القراءة في حالتي ذكر الاستعاذة، وعدم ذكرها.

ومن الطرق التربوية في التعريف بالاستعاذة وبأهميتها ما يلي:

- توضيح مفرداتها وشرح معناها.
- جمع ودراسة أقوال المفسرين في معناها.
- بيان عداوة الشيطان، وضرورة استحضارها في كل وقت.
- بيان أحكام قراءتها مع البسملة.

ثانياً ـ شرح الكلمات والجمل والآيات

إن مما يساعد على التدبر أن يفهم المتعلم معاني الكلمات والآيات التي يقرؤها، حيث يوجد في كتاب الله بعض الكلمات التي لا يفهمها الطلاب، إما لأنها غير مستخدمة في مجتمعاتهم، أو لأنها ليست منتشرة في ثقافاتهم، أو ليست موجودة في كتبهم التي يدرسونها، وبالتالي سيصعب عليهم الفهم الدقيق لمعاني الجمل والآيات القرآنية.

«ولا يخفى أن المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام، وبعض الجهل بالجزء يفضي إلى زيادة الجهل بالمجموع، وإنما يسلم المرء عن الخطأ إذا سد جميع أبوابه، فمن لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن، أُغلق عليه باب التدبر، وأشكل عليه فهم الجملة، وخفي عنه نظم الآيات والسورة، ثم سوء فهم الكلمة ليس بأمر هين، فإنه يتجاوز إساءة فهم الكلام، وكل ما يدل عليه من العلوم والحكم، فإن أجزاء الكلام يبين بعضها بعضا للزوم التوافق بينها»[1]، ولا شك أن هذا النقص في معرفة مرادات

(١) المفردات القرآنية، ص٤.

الألفاظ، والغموض في فهم معاني الكلمات، يقلل من التدبر، أو يجعله معدوماً تماماً.

لذا لا بد من زيادة الرصيد اللغوي للمتعلمين، وتعريفهم بألفاظ ومفردات القرآن، وتوفير الخبرات التربوية المتنوعة التي تؤهلهم، وتزودهم بالكلمات القرآنية في جميع المواد الدراسية، ولابد من الأخذ بهذه القاعدة في جميع المراحل التعليمية، فالطلاب الصغار في حاجة ماسة إلى معرفة المعاني الأولية للكلمات القرآنية، وكذلك الطلاب الكبار في حاجة إلى الاستزادة من استيعاب المعاني ليزداد الفهم والتدبر. فهذا الشرح مما يجعل المقصود من الآيات واضحاً أمام القارئ، ويكوّن لديه القدرة على العمل بمقتضاها ومدلولاتها.

يقول محمد المصري: «ومما يجب لفت النظر إليه أن شرح المفردات لا يكفي فيه ذكر المرادف، وذلك عملاً بقوانين التذكر، فإن الكلمة يسهل تذكر معناها إذا ارتبطت باستعمال يألفه الطلاب...، وقد يكون للكلمة أكثر من معنى، وقد يقع أن يحتمل النص كلا المعنيين، وفي مثل هذه الحالة يقصد المدرس إلى المعنى الذي يرجحه في الصفوف الأولى دون تعريج على غيره...، أما في الصفوف المتقدمة فيعمد المدرس إلى الإيضاح والمقارنة، ثم الأخذ بأحد المعاني وترجيحها»(١).

وهناك العديد من الكتب المفيدة في توضيح معاني الكلمات، ومنها كتاب مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، بالإضافة إلى الكتب المعاصرة التي تمتلئ بها المكتبات الإسلامية، مثل كتاب (جامع البيان في مفردات القرآن للدكتور عبدالحميد هنداوي) وكتاب (رياض البيان لمفردات القرآن للدكتور زكي أبو سريع) وما على المربي إلا اختيار المناسب منها، والذي يرى ملاءمته لطلابه.

---

(١) لمحات في وسائل التربية الإسلامية وأهدافها، ص٣٣.

ومن العجيب في فهم القرآن أن المتربي إذا تعود على بعض كلماته وألفاظه، استطاع أن يفهم جميع القرآن، وذلك ليسره وسهولته، وتكرر عباراته وكلماته، يقول ابن سعدي في تفسيره: «وكان من خاصة علم القرآن أن فهم بعضه وطائفة منه، يعين على فهم جميعه، لأن القرآن من أوله إلى آخره يدور على تقرير الأصول النافعة والحقائق والشرائع الكبار، والأحكام الحسنة والعقائد الصحيحة، ويوجه العباد إلى كل خير، ويحذرهم من كل شر، ويعيد تقرير هذه الأمور ويبديها بأساليب متنوعة، وتصاريف مناسبة في غاية اليسر والسهولة، والإحكام والحسن، الذي لا مزيد عليه»[١].

وينبغي أن يتربى الطلاب على ألا يقولوا في كتاب الله بغير علم، حفظاً للدين، وصيانةً للقرآن، يقول ﷺ: (من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

ولذا لا بد من الرجوع إلى التفاسير وأقوال أهل العلم، يقول صالح الفوزان: «والذي أنصح به هو تفسير ابن كثير، فإنه من أعظم التفاسير وأحسنها طريقة ومنهجاً، ... وأيضاً هناك تفسير البغوي، وتفسير الحافظ ابن جرير الطبري، فهو تفسير واسع وشامل، فهذه التفاسير موثوق بها، وكذلك تفسير الشيخ عبدالرحمن السعدي فهو تفسير جيد وسهل العبارة غزير العلم. أما بقية التفاسير فهي تجيد في بعض النواحي، ولكن فيها أخطاء ولا سيما في العقيدة، ولا يصلح أن يقرأ فيها إلا المتمكن بحيث يأخذ منها ما فيها من الخير، ويتجنب ما فيها من الخطأ»[٢].

ويمكن للمربين أن يستخدموا التفاسير المختلفة حسب المستوى الفكري للمتعلمين، والتفاسير بعضها مطول وبعضها مختصر، كما أن المطولات أصبحت لها مختصرات تتناسب مع قدرات الطلاب وفهومهم، والمربي

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٤٦٩.
(٢) تدبر القرآن، ص٣٤.

الحصيف يستفيد من كل منها بما يتناسب معهم. كما أن مما يعزز فهم الكلمات وتذكرها تعويد الطلاب على استخدامها ووضعها في جمل مفيدة داخل الفصل الدراسي، وفي ذلك زيادةٌ لحصيلتهم اللغوية.

ومن أنواع التفاسير المختصرة المناسبة للطلاب في المراحل الأولى ما يلي:

- بعض التفاسير المختصرة المعاصرة، مثل: (المعين على فهم الجزء الثلاثين) للدكتور زيد عمر عبد الله.
- التفسير الميسر من مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- زبدة التفسير لمحمد بن سليمان الأشقر.

ومن التفاسير المناسبة للمرحلة الوسطى:

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة عبدالرحمن بن سعدي.
- أحد مختصرات تفسير ابن كثير، مثل تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، للرفاعي، أو المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير لجماعة من العلماء.
- تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطي.
- تفسير الإمام البغوي المسمى معالم التنزيل.

أما التفاسير المناسبة للمراحل المتقدمة فهي أكثر من أن تحصى، ومنها:

- تفسير جامع البيان في تأويل القرآن لشيخ المفسرين الإمام الطبري رحمه الله.
- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير.
- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي.
- فتح القدير للإمام الشوكاني.

ويمكن للمتعلمين في هذه المرحلة أن يرجعوا إلى تفاسير أوسع وأعمق مما ذُكر، وخاصةً إذا توفرت لديهم علوم الآلة المناسبة، وأمنوا من الزلل في التأويل، ومن تلك التفاسير: الكشاف للزمخشري، وبدائع التفسير لابن القيم، والتحرير والتنوير لابن عاشور، ونظم الدرر للبقاعي وغيرها.

وعلى المربي في المدرسة أو في الحلقة القرآنية أن ينوع في طرق الاستفادة من هذه التفاسير، ومن ذلك ما يلي:

أ - البحث عن معنى كلمة، أو عدة كلمات من خلال قراءتهم.

ب - القراءة المشتركة من أحد هذه الكتب، ثم يسأل المعلم والكتاب مفتوح أمامهم، ويسعى لطرح الأسئلة المباشرة وغير المباشرة، ثم يطلب منهم الإجابة حسب فهمهم وبأسلوبهم، بالنظر في الكتاب.

جـ - الطريقة السابقة، أي القراءة من أحد هذه التفاسير، وطرح الأسئلة، ولكن الإجابة من الطلاب بدون النظر في الكتاب.

د - تلخيص المعنى الإجمالي للسورة، إن كانت قصيرة، أو للآيات المحددة، إن كان المقطع طويلاً.

وفهم معاني الآيات وألفاظها يفيد كثيراً في تدبر الآيات، ولكن التدبر «لا يعني أن يقف القارئ على ظاهر المعنى، بل يتطلب منه التفكر بعمق، والتأمل بإمعان إلى الجوهر، وإدراك المعنى المقصود من حيث خصوصية المعنى مع شموله لجميع الظروف والأحوال. وتدبر القرآن على هذا الأساس الدقيق يختلف عن تفسيره، فالتفسير المجرد هو التوضيح لجلاء المعاني، أما التدبر فهو التفهم والتأمل بما بان للقارئ واتضح، ومجرد التفسير لا يغني عن التدبر، بل هو عون له، ويفتح الآفاق أمامه»(١).

وللقرآن سلطان عجيب على النفوس، فقد يقرأ المتعلم الآيات، فلا يجد

(١) دعوة إلى تدبر القرآن الكريم.. كيف ولماذا، ص٨٩.

لها أثراً، ولا تحرك عنده ساكناً، ولا تُسّكن لديه متحركاً، ولكن عندما يقرؤها مرةً أخرى، وبتدبر، يشعر بلمساتٍ غريبةٍ تطرق فؤاده، وتؤثر في كيانه، فيستجيب لها، ويتفاعل معها.

ثالثاً ـ ربط أحكام التجويد بالمعاني

شرع الله سبحانه لقراءة القرآن صفةً معينةً، وطريقةً محددةً، ونزل بها جبريل عليه السلام، وعلمها لنبينا محمد ﷺ. وأقرأها النبي (لصحابته من بعده، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]. «أي لتقرأه على الناس بترسل وتمهل، فإن ذلك أقرب إلى الفهم وأسهل للحفظ، وهذه الصفة لا تتحقق إلا بالمحافظة على أحكام التجويد المستمدة من قراءة رسول الله ﷺ، والتي ثبتت بالتواتر والأحاديث الصحيحة»(١). وهذه الصفة هي التي يتوارثها الأجيال، ويتناقلها القراء عبر السنين.

وحث ﷺ أمته على هذه القراءة بقوله: (من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد) رواه أحمد في مسنده برقم ٤٤٥، لذلك فإن تعليم القراءة بالتجويد يصون اللسان عن الخطأ، ويؤول إلى تأثر القلب بالقرآن، ويحمي بإذن الله من الوقوع في الخطأ الجلي والخطأ الخفي.

والتجويد من وسائل التدبر وإتقان تعلم القرآن، لذا لا بد من العناية به منذ المراحل الأولى للناشئة. وإذا تعلم الناشئة التجويد، منذ صغرهم، حققوا مراتب متقدمة في إتقان القرآن، وأصبحوا من الماهرين فيه، ونالوا منزلةً عاليةً يوم القيامة، قال ﷺ: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع الكرام السفرة) رواه البخاري برقم ٤٩٣٧.

يقول سلمان السنيدي: «وكونه ماهر به يشمل إتقانه للحفظ، وسلامة التلاوة، وإتقان التجويد. ومعلوم أن مبنى الكلام قائم على المعنى، وسلامة

---

(١) غاية المريد في علم التجويد، ص١٥.

النطق تزيد الفهم، وتكمل الإدراك، وتعين على التدبر، وإذا اختل النطق بالكلمة أو إعرابها فإن المعنى يتغير أو يكون ناقصاً أو غير بين، وكل ذلك مما يبعد القلب عن التدبر وتفهم الآيات»(١).

ومن الخطأ أن يكتفي المعلم بأن يكون الطالب جيداً في الحفظ، أو حسن الصوت في التلاوة، بدون تجويد للآيات، وذلك لأمور:

أ - أنه يسهل تعلم التجويد في هذه المرحلة.

ب - قد يصعب تعديل الأخطاء في المراحل المتقدمة، وتعليم الصحيح أولى من تصحيح الخطأ.

جـ - يمكن تعليم التجويد على مراحل، تحسن من تلاوة القرآن وتساعد في تدبره.

د - التربية على الاقتداء بالنبي ﷺ وصحبه الكرام في قراءة القرآن، ولو لم يكن حكم القراءة بالتجويد واجباً، كما يقرر ذلك الإمام ابن الجزري رحمه الله(٢).

ومن فوائد القراءة بالتجويد أن القارئ يسلم من الخطأ الجلي الذي يغير المعنى، وبالتالي لا تُفهم الكلمة أو الآية القرآنية على غير وجهها، وهذا الأمر منافٍ للتدبر. والتجويد «يساعد على تجنب اللحن والتحريف في كتاب الله تعالى من تأثير اللهجات المحلية، واللبس بين الحروف، والمحافظة على أدائه من استبدال الحركات، كضم المكسور، وفتح المضموم، وتسكين المتحرك»(٣).

كما أن القارئ بالتجويد يتفاعل مع الآيات بحسب خروج الحروف من

---

(١) تدبر القرآن، ص٣٣.
(٢) غاية المريد في علم التجويد، ص٣٦.
(٣) علم التجويد للمبتدئين، ص١١.

مخارجها، هاتان ابنتا الألباني رحمه الله تحثان معلمات القرآن على تعليم قراءة القرآن بالتجويد، وتبيين أهميته للتدبر، فتقولان: «والقارئة عندما تهمس، تستشعر خروج الهواء، وعندما تفخم، تستشعر اتجاه ضغط الحرف للأعلى، وفي التفشي: تشعر بانتشار الهواء داخل الفم، وفي الإخفاء: تشعر بأنها تحرص على عدم إظهار النون، وتستشعر قوة الحرف وضعفه، وتطيل صوتها بحرف المد، فإنها بذلك تؤدي حق الحرف، وحق الكلمة، وبالتالي يخرج اللفظ منها صحيحاً، ويصل إلى القلب، ويبدأ التفاعل مع المعاني ويحصل التدبر، فـ (الألفاظ قوالب المعاني)»(١).

وفي تطبيق أحكام التجويد استشعار للمعاني، وتجاوب مع الألفاظ «فكم يستشعر المعنى من يقف على ﴿تَرَكْتُ﴾، مع الشدة والهمس في الكاف والتاء في قوله تعالى: ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

وكم يخشع القلب، ويعتريه الرهب، عندما يقرأ ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ [القيامة: ٢٧]، بالسكت على النون!

وها هو إعجاز كلام الله يلوح عند تلاوة ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١]، بكيفية نطق حروفها، وتنوع مدودها، وترقيقها وتفخيمها.

وأيهما أبلغ في النفس وأوقع في القلب، أن يمد القارئ صوته عند نطقه للفظ الجلالة في ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، أم أن يقرأها خطأً بقصر مد الفرق!

وأي أثر يبقى في النفوس عندما نقف على رأس آية: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]»(٢).

---

(١) الدليل إلى تعليم كتاب الله الجليل، ج٢ ص١٦١.

(٢) الدليل إلى تعليم كتاب الله الجليل، ج٢ ص١٦٢.

لذا لا بد من الاهتمام بتعليم التجويد وأحكامه، وجعل ذلك ضمن مفردات تعليم القرآن، فإن هذا يساعد على حسن تلاوته، وزيادة تدبره.

ونظراً لكثرة أحكام التجويد وتشعبها، فإن الواجب التربوي يقتضي توزيع تعليم التجويد إلى مراحل ومستويات، ومراعاة التدرج في إتقانه، وذلك حسب المستوى الذهني للمتعلمين، ويُستخدم في ذلك المراجع المتخصصة في فن التجويد، «والعادة أن تُقرأ (تُحفة الأطفال) ثم (المقدمة الجزرية) ثم (الشاطبية) ثم (الدرة) ثم (الطيبة)، وما أشبه ذلك من المتون العلمية في شتى الفنون التي تُقرأ بالتدرج»(١).

كما أن في الالتزام بالتجويد مراعاة لخصائص القرآن، حيث «إن للقرآن الكريم خصائص عديدة، وله خصائص صوتية تميزه عن كلام العرب ومنها:

- زيادة مقدار الغنة في النون والميم المشددتين، والإدغام والإخفاء.
- زيادة مقدار المد في أماكنه المعروفة.
- النغمة الفطرية التي تجري على لسان القارئ أنى كان مستواه العلمي»(٢).

ومراعاة هذه الخصائص يؤثر في وجدان القارئ، ويلفت انتباه المستمع للقراءة، وبالتالي يزيد من إقباله على القرآن والتفكر في معانيه.

رابعاً ـ الموعظة والتحذير من الذنوب الصارفة عن التدبر

أجمع المتقون والعارفون بالله أن القلب المتصل بالله في كل أحواله وأزمانه لا يتطرق إليه شك أو ريب، ولا يقارف بدعةً أو معصية، فأصحاب هذه القلوب يتنعمون في الدارين، وهم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وحالهم ليست كحال غيرهم من البشر، ممن خالفوا أو غفلوا،

---

(١) فتح الأقفال بشرح تحفة الأطفال، ص١٤.
(٢) كيف تحفظ القرآن الكريم.. قواعد أساسية وطرق عملية، ص٤٧.

قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]. ومن وقع في شيء من تلك السيئات فقد وضع حاجزاً بينه وبين فهم كتاب الله سبحانه وتعالى، وقد يقع في شعبةٍ من شعب المتكبرين الذين صُرفوا عن آيات الله فقال عنهم: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. والسيئات تغطي القلوب بالصدأ، وتكوْن ما يُسمى بالران عليها، قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

وأعمال القلوب تؤثر في الجوارح سلباً أو إيجاباً، ومما يصرف المتربي المكلف عن تدبر القرآن هو انهماكه في الذنوب والمعاصي، وانشغاله بالدنيا وملذاتها المحرمة، فهي تحجب الفتوحات الربانية، وتمنع الأرزاق المادية والمعنوية، قال ﷺ: (وإن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه) رواه ابن ماجه برقم ٣٢٦٤ وصححه الألباني.

ولكن ذلك لا يعني أن الباب مقفلٌ ولن يُفتح أبداً، بل إن المجال ما زال مفتوحاً للعودة والإنابة، وعلى المربي أن يفتح باب الأمل والعودة إلى الله بترك الذنوب وهجر المعاصي، لكي يفتح صفحةً مضيئةً مع كتاب الله، يقول الإمام الزركشي رحمه الله: «اعلم أنه لا يصلح للناظر فهم معاني الوحي، ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كِبر أو هوى أو حب الدنيا، أو هو مصر على ذنب، غير متحقق بالإيمان أو ضعف التحقيق...، فهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض»[١].

ومن واجب المربي في جميع المراحل التعليمية أن يذكر المتعلمين بعداوة الشيطان الحريص على إغواء بني آدم، والباذل جهده لصرفهم عن

(١) البرهان في علوم القرآن، ج٢ ص١٩٧.

المنازل العليا والدرجات الرفيعة، وذلك كي تبقى هذه القضيةُ حيةً على الدوام في نفوسهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]. وعلى المعلم أن يبين لهم آثار الذنوب والمعاصي عموماً على قلوبهم وحياتهم، وبقدر انهماكهم ومقارفتهم لها تقل سعادتهم في الدنيا والآخرة. ومن أخطر آثارها إزالة أو إضعاف ملكة الفهم والتدبر لكتاب الله، يقول ابن قدامة: «وليتخل عن موانع الفهم، ومن ذلك أن يكون مصراً على ذنب، أو متصفاً بكبر، أو مبتلى بهوى مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه، فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصدأ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل جلاء المرآة»(١).

ومن الأمور المانعة للتدبر والصادة عن الفهم أمراضُ القلوب، كالحسد والغل والحقد والكِبر وغيرها، وعلى المربين التنبيه إلى خطورتها وآثارها السلبية على القلب عموماً وعلى التدبر خصوصاً. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]. تقول أسماء الرويشد: «ومن أهم موانع تدبر القرآن، وأخطر أقفال القلوب، فساد الباطن وأمراض القلوب، بأن يشتمل القلب على أمور تنافي الاعتقاد الصحيح، أو على الرياء والمبالغة في طلب الدنيا، أو الغل والحسد والبغضاء والكِبر، فهي ظلمةٌ تكسو القلوب وتمنع من دخول نور القرآن وهدايته، وتسبب شرود الذهن وانشغاله، حيث إن صفاء القلب والذهن أهم عوامل الفهم والتدبر»(٢).

إن ممارسة المتربي لأنواع القرب والطاعات، ومرافقته لأهل الباقيات الصالحات، وغشيان مجالس الذكر والحسنات، يقلل من أوقات الانشغال بالملهيات، ويبعد عن أماكن المعاصي والموبقات. وإن لزوم الطاعات ينير

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، ص٦٧.
(٢) مشروع الحياة من جديد، ص ص ٥١٩ ـ ٥٤٢.

القلوب، ويضفي عليها الأمن والأمان، ويُعطى صاحبها الاطمئنان، وحين يلتزم المتربي بهذا المنهج يكون أقرب طريقةً وأهدى سبيلا، ويفهم من معاني القرآن وإرشاداته ما يزيده قرباً وإقبالاً على خالقه ومولاه سبحانه وتعالى.

خامساً ـ إدراج حصة التدبر في الدرس القرآني

يحرص خبراء التخطيط في المؤسسات التعليمية والتربوية على تدريس المواد التي تبسط المعارف البشرية، وتنقل التراث الثقافي للأمة، بما يتلاءم مع المراحل التعليمية المختلفة. أما تدريس القرآن فهو واجب شرعي، ولا يستقيم الدين إلا به، وعلى هذا الأساس لا يخلو الجدول الدراسي في الدول الإسلامية من دروس القرآن تلاوةً وحفظاً وتفسيراً، مما يدل على شدة عناية الأمة بذلك. ورغم هذه العناية، إلا أن المنهج الدراسي لتعليم القرآن يفتقر إلى دروس التدبر.

لذلك فإن من القواعد الأساسية لتعليم التدبر أن تُضمّن الدروس الخاصة بالتدبر في الجدول الدراسي، وألا يُكتفى بالتوجيه العام للتدبر، أو بالكلمات الموجزة التي تقال في دروس التفسير. ويُقترح أن يتضمن مقرر التدبر جانبين: نظري وعملي.

فالجانب النظري يتضمن المفردات التالية:

- معنى التدبر.
- خطوات التدبر.
- مجالات التدبر.
- نماذج على التدبر.

أما الجانب العملي فيتضمن المفردات التالية:

- استخراج معاني الكلمات والآيات من التفاسير المناسبة لكل مرحلة.
- الوقوف عند بعض الآيات وتأمل معانيها.

- الاستفادة من بعض الكتب المعاصرة في توضيح مقاصد السور ودلالاتها.
- ربط الآيات بالواقع الذي يعيشه المتعلمون.
- إعداد أسئلة في التدبر ضمن مسابقات الطلاب على أن تتضمن: المرادفات، وأضداد الكلمات، وغيرها.

وحين يتربى الطلاب على التدبر، تصبح جلسات تدارس القرآن ثقافةً شائعةً في المجتمع، ويسعى الجميع لنيل الفوائد الأربع الواردة في حديث التدارس الذي يقول فيه المصطفى ﷺ: (ما اجتمع قوم يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده) رواه مسلم برقم ٢٦٩٩.

وإذا لم يتيسر تخصيص مادة مستقلة للتدبر القرآني، فحينئذٍ ينبغي على المعلم أن ينوع في اللقاء القرآني، بحيث يكون من فقراته شيءٌ من تدبر كتاب الله، وذلك لأن النفوس من طبعها الملل والسآمة، فيمكن للمعلم أن يغير طريقته في الدرس ما بين التسميع والتلاوة، والتفسير، والتدبر والفهم، والأسئلة، والحوار، ويمكن أن يستفيد من درس التلاوة مثلاً في إعطاء دروس عملية في التدبر في كل أسبوع، أو في كل لقاء.

وفي استحباب القراءة المتداولة بين أفراد المجموعة، يحسن بالمربي أن يذكر بحديث المباهاة الذي رواه معاوية («أن رسول الله ﷺ خرج على حلقةٍ من أصحابه فقال: (ما يجلسكم) فقالوا: جلسنا نذكر الله تعالى، ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنّ به علينا، فقال: (أتاني جبريل عليه السلام، فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة)» رواه مسلم برقم ٢٧٠١.

وهذه الطريقة الجماعية مفيدة في تحميس المتعلمين، وشد انتباههم، إلا أن الاجتماع في المسجد، أو في المدرسة، أو المنزل لقراءة القرآن فيه تفصيل، فمن فتاوي اللجنة الدائمة أنه: «إذا كان المقصود أنهم يقرؤون جميعاً بصوتٍ واحد، ومواقف ومقاطع واحدة فهذا غير مشروع، وأقل أحواله

الكراهة، لأنه لم يؤثر عن رسول الله ﷺ، ولا عن أصحابه رضي الله عنهم، لكن إذا كان من أجل التعليم فنرجو أن يكون ذلك لا بأس به، وإذا كان المقصود أنهم يجتمعون على قراءة القرآن لحفظه أو تعلمه، ويقرأ أحدهم وهم يستمعون، أو يقرأ كل منهم لنفسه غير ملتقٍ بصوته، ولا بموافقةٍ مع الآخرين، فذلك مشروع»(١).

سادساً ـ التربية على شكر نعمة التدبر

إن الشكر الحقيقي للنعم ينبغي أن يتمثله المتربي في واقعه، وذلك بالشعور بفضل الله ومنته شعوراً يظهره في كلماتٍ يقولها بلسانه، وفي أفعالٍ تصدقها جوارحه، وفي شهودٍ داخلي يمتلئ به قلبه. ونعم الله عظيمةٌ وكثيرة، وهي تُعد ولاتحصى، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]. وواجب هذه النعم أن تُشكر، وأن يُثنى على المنعم بها سبحانه وتعالى.

والشكر من أجل العبوديات، وأفضل القربات، وأعلى المنازل والدرجات، وهو نصف الإيمان، والصبر نصفه الآخر، وعليه فإن فهم القرآن وتدبره نعمةٌ عظيمة، فيها حياة القلوب واطمئنان النفوس، وهي نعمةٌ يؤتيها الله لمن يشاء من عباده، ولمن بذل جهده في تحصيلها، وعَلِم عِلْم اليقين أن التدبر حتمٌ لازمٌ لكتاب الله.

وعلى المربي أن ينبه طلابه على أن من تحصل على شيء من هذا الفهم، عليه أن يشكر المنعم سبحانه على هذه النعمة العظيمة، وذلك مظنة دوام هذه النعمة وزيادة البركة فيها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

ومن أنسب الأوقات للتنبيه على شكر نعمة التدبر، ما يكون في ختام

---

(١) بدع الناس في القرآن، ص١٣.

اللقاء القرآني الحافل بمواقف للتدبر. ويؤكد التربويون على ضرورة تُذكير المعلم لطلابه في نهاية الحصة الدراسية بأهم ما ورد فيها من معلومات، وهو ما يسمى بالملخص السبوري الذي يجمع معلومات الدرس في صورة مركزة، ويؤكد على تلك الوقفات المهمة ذات العلاقة بتنمية الشخصية وتربيتها، مثل تذكير المتربين بشكر الله على أن يسر لهم قراءة كتابه، وفهم آياته، وتدبرها، ثم يوصيهم بسؤال ربهم الإعانة على العمل بما فهموه، وأن تكون هذه الآيات حجةً لهم لا عليهم، وزاداً لهم يوم القيامة، وسلماً لبلوغ الفردوس الأعلى من الجنة.

الفصل الثالث

التدبر وتعليم الاستماع التربوي

المبحث الأول: أهمية الاستماع للتدبر

المبحث الثاني: أسس الاستماع التربوي

المبحث الثالث: آثار الاستماع التربوي

المبحث الرابع: وسائل تربية ملكة الاستماع

مقدمة في الاستماع

تعتبر مهارة الاستماع من المهارات اللغوية المهمة في تبادل المعرفة واكتساب القيم والعادات، بل يعتبر المتخصصون في لغة القرآن أن الاستماع والفهم مهارتان متكاملتان من مهارات اللغة التي ينبغي أن يتدرب عليها المتعلمون منذ بدء اكتسابهم للغة، ومنذ بداية تعرفهم على حروفها.

ومع أن السمع حاسةٌ بشريةٌ موجودةٌ لدى الجميع، إلا أن آلية الاستماع متباينة بينهم، ومع ذلك فهي من المهارات التي يمكن تنميتها عبر المراحل الدراسية المختلفة. بل تُعد من المهارات الضرورية في تدبر القرآن الكريم لجميع المراحل.

وقد ذكر العلماء أن ترك الكلام عموماً له أنواع، يقول الرازي في تفسيره: «ترك الكلام له أربعة أسماء: الصمت، والسكوت، والإنصات، والإصاخة، فالصمت وهو أعمها لأنه يستعمل فيما يقوى على النطق، وفيما لا يقوى عليه...، وأما السكوت فهو ترك الكلام ممن يقدر على الكلام، والإنصات سكوت مع استماع، ومتى انفك أحدهما عن الآخر لا يقال له إنصات، والإصاخة استماع إلى ما يصعب إدراكه كالسر، والصوت من المكان البعيد»[١].

كما ذكر علماء النفس أهمية الاستماع، ووضعوا له مستويات مختلفة هي[٢]:

(١) تفسير الرازي، ج١٠ ص٤٠٠.
(٢) علم اللغة النفسي، ص٢٣١.

أ - سماع أصوات الكلمات دون التأثر بالأفكار التي تحملها.

ب - الاستماع المقطع كالاستماع إلى مدرس الفصل باهتمام لفترة والانصراف عنه، ثم معاودة التركيز معه.

جـ - نصف استماع، كالاستماع إلى مناقشة ليس من أجل التأثر بها، ولكن من أجل أن يختبر ما لديه من أفكار في ضوء ما يطرح في المناقشة من أفكار.

د - الاستماع مع تكوين روابط فكرية بين ما يقال، وبين ما لدى المستمع من خبرات خاصة.

هـ - الاستماع إلى تقرير للحصول على الأفكار الرئيسية، والتزود بالتفاصيل واتباع الإرشادات.

و - الاستماع الناقد، حيث ينفعل المستمع بالكلمات ويعايشها.

ز - الاستماع التذوقي، والذي يكون فيه المستمع في حالة نشاط عقلي، ويستجيب انفعالياً وبشكل سريع لما يسمع.

الاستماع التربوي

والاستماع التربوي هو الذي يتضمن الالتزام بآداب الاستماع حتى يكون لهذه المهارة أثرٌ في تعديل سلوك المتعلم، سواءً في أخلاقه أو عباداته. ولذلك ينبغي أن يحرص عليه المربون في تربية طلابهم، وكذلك الآباء في التعامل مع أولادهم.

والاستماع التربوي عملية اتصالية من طرفين، تُحدث تفاعلاً بين المتكلم والسامع، وتؤثر في العملية التعليمية والتربوية، «والاتصال اللغوي الشفهي لا يتطلب فقط أن يكون لدى المتكلم شيء ما يقوله، بل إنه يجب أن يقوله بطريقة تستدعي استجابات ملائمة من السامعين. فالمتكلم يجب أن يكون واعياً بسامعيه، حساساً فيما يتعلق بحاجاتهم وميولهم ورغباتهم، والمستمع

كذلك، يجب أن يقدم انتباهاً جاداً للمتحدث، وأن يستجيب إلى ما يقوله بطريقة مقبولة»[١].

وفيما يلي توضيح مدلولاته الشرعية والتربوية.

(١) تدريس اللغة العربية، ص٢١٤.

المبحث الأول

أهمية الاستماع للتدبر

يُعد الاستماع حاجة أساسيةً للإنسان، ولا يستغني عنه أحد، فقد ورد الاستماع في القرآن في مواطن كثيرة، ووردت مادة (سمع) في كتاب الله أكثر من مائة وخمسين مرة، منها قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨١]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الروم: ٢٣]. وقوله: ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠]. وقوله: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

وقد أُمر النبي ﷺ بالاستماع للقرآن حين نزول الوحي، وعدم الانشغال بالترديد خلف جبريل عليه السلام، وتكفل الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ أن يُحفِّظه إياه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله: «لا تحرك به لسانك لتعجل به»، قال: كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، كان يحرك شفتيه ـ فقال لي ابن عباس: أنا أحركهما كما كان رسول الله ﷺ يحركهما. فقال سعيد: أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحركهما. فحرك شفتيه ـ فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال: جمعه في صدرك ثم تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ قال: فاستمع وأنصت ثم إن علينا أن

تقرأه، قال: فكان رسول الله (إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما أقرأه) رواه مسلم في باب الاستماع للقراءة برقم ١٠٣٣.

وفيما يتعلق باستماع القرآن، فقد كان ثقافةً مطردة، وأسلوباً متبعاً، وعبادةً شائعةً في حياة السلف رحمهم الله تعالى. أمر الله به في كتابه الكريم فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وقد بين العلماء المقصود من الآية، يقول ابن جزيء الكلبي: «فيه ثلاثة أقوال: أحدها أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة، والثاني: أنه الإنصات للخطبة، والثالث: أن الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق، وهو الراجح لوجهين: أحدها أن اللفظ عام، ولا دليل على تخصيصه، والثاني أن الآية مكية، والخطبة إنما شرعت بالمدينة»(١).

يقول الشوكاني: «أمرهم سبحانه بالاستماع للقرآن والإنصات له عند قراءته، لينتفعوا به، ويتدبروا ما فيه من الحكم والمصالح»(٢)، فقد اقترن في الآية الإنصات مع الاستماع لكي يحصل تمام الوعي والتدبر.

وحصول الأثر التربوي المطلوب يقتضي الجمع بين الإنصات والاستماع، كما ذكر ابن عباس في الحديث السابق عن استماع النبي ﷺ، يقول ابن سعدي: «هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يُتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات، والفرق بين الاستماع والإنصات أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث، أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه، وأما الاستماع له فهو أن يلغي سمعه ويحضر قلبه، ويتدبر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله، فإنه ينال خيراً كثيراً وعلماً غزيراً، وإيماناً مستمراً متجدداً، وهدىً متزايداً وبصيرةً في دينه. ولهذا رتب الله حصول

(١) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ج٢ ص٥٩.
(٢) فتح القدير، ج٢ ص٢٨٠.

الرحمة عليها، فدل ذلك على أن من تُلي عليه كتاب الله فلم يستمع له وينصت أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير»(١).

وبين القرآن أهمية الإنصات لفهم مراد كلام الله، فذكر حكايةً عن الجن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

وكان الصحابة رجالاً ونساءً يستمعون إلى قراءة النبي ﷺ في الصلوات والخلوات، وفي اللقاءات، تروي أم هانئ رضي الله عنها قالت: «كنت أسمع قراءة النبي ﷺ وأنا على عريشي» رواه النسائي برقم ١٠١٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي رقم ٩٦٩.

بل كان النبي ﷺ يستمع لقراءة أصحابه، كما استمع لقراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقال مرةً لأبي موسى الأشعري: (لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك، لقد أُعطيت مزماراً من مزامير داود) رواه البخاري في فضائل القرآن برقم ٥٠٨٤.

بل ورد أن الملائكة كانت تنزل لسماع القرآن كما أنها تنزل لسماع الذكر، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين(٢)، فتغشته سحابة، فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: (تلك السكينة تنزلت للقرآن) رواه مسلم في فضائل القرآن برقم ٧٩٥. قال النووي: «قد قيل في معنى السكينة هنا أشياء، والمختار منها: أنها شيء من مخلوقات الله تعالى فيه طمأنينة ورحمة، ومعه الملائكة، وفي الحديث فضيلة القراءة، وأنها سبب نزول الرحمة وحضور الملائكة، وفيه فضيلة استماع القرآن»(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ج١ ص٢١٤.

(٢) الشطنان: مفرده شطن، وهو الحبل، وقال الخليل: الحبل الطويل، انظر مختار الصحاح، ص١٤٢.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ج٦ ص٨٢.

فاستماع القرآن من فضائل الأعمال، وهو من العبادات التي تباشرها الأذن، ومن شكر نعمة الأذن أن يستمع الإنسان بها إلى ما أباح الله، وليس هناك أفضل من كلام الله يُستمع إليه.

المبحث الثاني

أسس الاستماع التربوي

الاستماع للآخرين له أصول وآداب، وكذلك الاستماع للقرآن له آداب ينبغي أن يتحلى بها المتربون، فإذا أحسن المتربي الاستماع، وتحلى بهذه الآداب أعانه ذلك على التدبر، يقول أبو بكر الآجري: «فكان حسن استماعهم يبعثهم على التذكر فيما لهم وعليهم»[(١)].

وللتربية على الاستماع، على المربي أن يطلب منهم صراحةً، وليس بالإشارة أو التلميح، أن يستمعوا وينصتوا للآيات التي سوف تُقرأ عليهم، وقد طلب النبي ﷺ من بعض أصحابه أن يستنصت الصحابة ليستمعوا إلى توجيهاته ﷺ، فعن جرير رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ في حجة الوداع (استنصت الناس) ثم قال: (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) رواه مسلم برقم ٢٣٢.

ومن أهم ما ينبغي أن يتربى عليه المستمع لكتاب الله ما يلي:

١ ـ **التهيؤ الذهني والنفسي قبل الاستماع**، ويتطلب التهيؤ تجاوباً جسدياً من المستمع، وذلك بأن يثبت أعضاءه ولا يحركها، والتجاوب الجسدي نتيجةٌ حتميةٌ لتوجيهات القلب الذي يأمر الأعضاء فتطيع، قال وهب بن منبه: «من أدب الاستماع سكون الجوارح، والعزم على العمل... يعزم على أن يفهم فيعمل بما فهم»[(٢)]. وهذا هو الاستماع التربوي المحمود،

(١) أخلاق حملة القرآن، ص١٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج١١ ص١٧٦.

وذلك بأن يروض المتربي أعضاءه وجوارحه، فلا يشتغل قلبه عما يسمع من آيات، ويغض طرفه فلا ينصرف فؤاده بما يرى، ويحصر عقله فلا يحدث نفسه بشيء سوى ما يستمع إليه، والأهم من ذلك أن ينوي بقلبه على أن يبذل جهده لكي يفهم ما يستمع إليه، ثم يبادر مباشرةً للعمل بما فهم.

٢ ـ **عدم الانشغال عن الاستماع أثناء القراءة،** كأن ينظر إلى ما حوله من موجودات، أو يمسك بكتاب أو مسبحة أو غيرها من المباحات، فضلاً عن التلهي بالمحرمات، ومن صفات أعداء الله أنهم يبذلون جهدهم بشتى الوسائل لصرف أبناء الأمة عن استماع القرآن، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

٣ ـ **التفكر أثناء الاستماع في الآيات المتلوة،** حيث يتدبر ما يسمع، ويستعرض أحوال النفس معها، وهذه صفةٌ ممدوحةٌ من صفات عباد الرحمن، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣]. يقول القرطبي: «فكان حالهم يعني رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ـ عند المواعظ ـ الفهم عن الله، والبكاء خوفاً من الله، ولذلك وصف الله أحوال المعرفة عند سماع ذكر الله وتلاوة كتابه، فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]. فهذا وصف حالهم، وحكاية مقالهم، فمن كان مستناً فليستن»[(١)].

٤ ـ **الخشوع والبكاء أثناء الاستماع،** وبذلك يحدث حُسن التفاعل القلبي والجسمي مع الآيات المسموعة، فلا يكون التفاعل بالآهات المنكرة أو الأصوات المزعجة، ولا يكون البكاء بالصراخ والعويل، كما يفعله بعض المستمعين للقرآن، وإنما يكون الخشوع والبكاء منضبطاً ومتأسياً

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٧ ص٣٦٦.

بهدي النبي ﷺ، والذي يصفه ابن القيم رحمه الله بالأوصاف التالية: «لم يكن بكاؤه ﷺ بشهيق ورفع صوت، ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملا، ويُسمع لصدره أزيز، وكان بكاؤه عند سماعه القرآن بكاء اشتياق ومحبة وإجلال، مصاحبٍ للخوف والخشية»(١).

وبهذا التفاعل يكون للاستماع أثره التربوي، وفعله التدبري، وقد وصف القرآن أهل العلم الذين يسمعون كلام الله بأنهم يبادرون إلى الطاعات، ويتأثرون، ويبكون ويخشعون، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩]. يقول الشوكاني: «يبكون بتأثير القرآن في قلوبهم، ومزيد خشوعهم حيث (يزيدهم) سماع القرآن (خشوعا) أي لين قلوب، ورطوبة عين»(٢).

كما أن صفة البكاء عند سماع القرآن من صفات المصطفين الأخيار من عباد الله الصالحين، الذين قال الله عنهم: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ [مريم: ٥٨].

وذكر أبو نعيم في الحلية أنه: «لما قدم أهل اليمن زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وسمعوا القرآن، جعلوا يبكون، قال أبو بكر: (هكذا كنا)»(٣).

٥ ـ **التفاعل الحسي والمادي**: أي الاستجابة المطلقة بعمل الجوارح، وبذل غاية الجهد لتنفيذ ما تدعو إليه تلك الآيات أو تحذر منه، قال تعالى:

---

(١) زاد المعاد، ج١ ص١٨٣.

(٢) فتح القدير، ج٣ ص٢٦٤.

(٣) حلية الأولياء، ج١ ص٢٤٤.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ١٠٨]. وقال أيضاً: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

وقد أخبر الله عن أمة اليهود أنهم يسمعون ولا يستجيبون، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ٤٦].

بينما من صفات المؤمنين أنهم يبادرون للاستجابة، فعلاً وتركاً، إذا سمعوا أوامر ربهم ونواهيه، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

المبحث الثالث

آثار الاستماع التربوي

إن الاستماع التربوي المحمود له آثار سلوكية على الفرد المتدبر، ومن الآثار ما يلي:

١ ـ **الفهم الصحيح**: فمن أحسن الاستماع، أدرك المعنى الإجمالي، وسلم من تشويش الذهن، وأداه ذلك إلى استلام الرسالة الصوتية كاملةً، ومن كان استماعه بغير تركيز أخذ جزءاً من المسموع، وترك الباقي، ولربما يكون ما ترك أهم مما أخذ، وقد يأخذ المستمع من الرسالة ما يوافق هواه، أو ما يؤكد آراءه وأفكاره، وإن كانت خلاف ما يقال. ولذلك فإن العلم الصحيح، والحكم الصحيح يُبنى أولاً على الاستماع الدقيق، والانتباه الواعي، يقول سفيان بن عيينة: «أول العلم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر، فإذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام بنية صادقة على ما يحب الله أفهمه كما يحب، وجعل له في قلبه نورا»[(١)]. والذين يحسنون الاستماع يدربون أنفسهم على الاحتفاظ بالمسموع في ذاكرتهم، وتتكون لديهم المعلومات والخبرات التي تعينهم على التمييز، وحسن الاختيار، ويساعدهم ذلك على فهم المسموع من الآيات والتفاعل معها، ومن ثَمّ الاتباع والاستمساك بحبل الله المتين، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج١١ ص١٧٦.

إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]. يقول ابن كثير: «أي خذ بالقرآن المنزل على قلبك، فإنه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، والخير الدائم المقيم»(١).

٢ ـ **الثواب الجزيل**، فمن استمع إلى القرآن استماعاً مركزاً، فقد جعل نفسه في مجلس من مجالس الذكر التي يباهي بها المولى ملائكته، ويذكرهم في الملأ الأعلى، ومن استمع وعمل بما في تلك الآيات من توجيهات، فإن له الأجر العظيم والبشارة بدخول الجنة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧ ـ ١٨]. يقول ابن سعدي: «فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما ينبغي إيثاره مما ينبغي اجتنابه، فلهذا من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسنه، وأحسنه على الإطلاق كلام الله وكلام رسول ﷺ»(٢). فمجالس الاستماع كثيرةٌ ومتنوعةٌ، ولكن أفضلها هي المجالس التي تقرب من الله وتدل عليه.

قال أبو بكر الآجري: «وإن الله وعد لمن استمع كلامه، فأحسن الأدب عند استماعه بالاعتبار الجميل، ولزوم الواجب لاتباعه، والعمل به، مبشرين منه بكل خير، ووعده على ذلك أفضل الثواب»(٣).

٣ ـ **الهدى والبركة والرحمة**، فمن يستمع إلى القرآن تنزل عليه الرحمة، ويعيش في رحاب الهدى والنور، وبذلك يتحصل على البركات القرآنية، قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠]، يقول ابن تيمية: «ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله ﷺ

---

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص١٢٤٦.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص٧٢١.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج١١ ص١٧٦.

بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة والهدى، وشفاء القلوب، والبركة، والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام، لا منظومه ولا منثوره»(١). ومن أصغى بتدبر وجد الخشوع والطمأنينة والراحة النفسية.

وقد جاء القرآن بالتبيان الشامل لكل ما ينفع الأمة، ويبصرها بطريق السعادة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢].

كما أن لهذا الاستماع فوائد كثيرة، يجنيها من أحسن الاستماع إلى كلام الله سبحانه وتعالى، وهذه الفوائد مما تُصلح الدين والدنيا والآخرة، يقول ابن القيم: «سماع القرآن بالاعتبارات الثلاثة: إدراكاً، وفهماً وتدبراً، وإجابةً... لن يعدم من اختار هذا السماع إرشاداً لحجة، وتبصرةً لعبرة، وتذكرةً لمعرفة، وفكرةً في آية، ودلالةً على رشد..، وحياةً لقلب، وغذاءً ودواءً وشفاءً، وعصمةً ونجاة، وكشف شبهة»(٢).

فإذا اجتمع للمتربي عنصري الاستماع والإنصات، تحققت له النتائج العظيمة، وانتفع من القراءة المسموعة، يقول الطاهر بن عاشور: «فالاستماع والإنصات المأمور بهما هما المؤديان بالسامع إلى النظر والاستدلال، والاهتداء بما يحتوي عليه القرآن من الأدلة على صدق الرسول ﷺ المفضي إلى الإيمان به، ولما جاء به من إصلاح النفوس، فالأمر بالاستماع مقصود به التبليغ واستدعاء النظر والعمل بما فيه»(٣).

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص٣٨٤.
(٢) مدارج السالكين، ج١ ص٢٨٤.
(٣) التحرير والتنوير، ج٦ ص٦٣.

المبحث الرابع

وسائل تربية ملكة الاستماع

تعتبر مهارة الاستماع ضمن المهارات الأربع اللازمة لتعلم اللغة، وتعلم اللغة يساعد على فهم المعاني، ولذا ينبغي أن يكون لهذه المهارة اهتمامٌ خاص في المدارس والحلقات، وأن تُتخذ الإجراءات اللازمة لجعلها ضمن اهتمامات المعلمين في تعليم اللغة عموماً، وفي تعليم القرآن خصوصاً، «ومع الاعتراف بأهمية الاستماع كمهارة لتعلم اللغة، إلا أنها لم تأخذ الاهتمام الكافي في حجرات الدراسة، فهي عادةً ما تعالج بشكل عابر من خلال تعلم الحديث، فالطالب يستمع إلى الحديث، ويعيد الحديث خلف المعلم، ثم ينتقل بعد ذلك إلى التدريبات، والإجابة عن أسئلة المعلم. ونادراً ما يحدث أن يستمع إلى اللغة في مواقف الحديث المتصلة الطبيعية، والتي يمكن فيها أن تترابط خبراته التعليمية السابقة في الاستماع، وبحيث تقدم له فرصة فهم مواقف جديدة مختلفة عن تلك التي تعلموا من خلالها الاستماع»[1].

ولأهمية مهارة الاستماع، ينبغي أن تأخذ حظاً وافراً من ساعات الجدول الدراسي، وأن يكون لها اهتمام خاص في اللقاءات القرآنية. ويؤكد أحد التربويين ذلك بقوله: «ولأهمية الاستماع في وقتنا الحاضر، ينبغي الاهتمام بتدريب المتعلم على الاستماع، وتزويده بالقدرة على سماع القرآن والخطب والمناقشات، وينبغي أن يتم التدريب على الاستماع مبكراً لضمان النجاح في التعليم بصفة عامة، ونظراً لعدم تدريب التلاميذ على مهارة الاستماع، نجد

(١) تعليم اللغة العربية، ص١٢٣.

كثيراً من الأطفال يسمعون، ولكن قدرتهم على الفهم ضعيفة، فهم قادرون على إدراك الأصوات، قادرون على ملاحظتها ومتابعتها، ولكن دون فهم أو تفسير للصوت المسموع، وليس المقصود بالاستماع سماع الصوت بل القصد منه الإنصات، والأخير أكثر دقةً في وصف المهارة التي ينبغي تنميتها عند التلميذ، وإن كانت القراءة عملية تقوم بشكل كبير على النظر إلى الرمز المكتوب أو التعرف عليه، ثم تفسيره، فإن الاستماع هو عملية إنصات إلى الرموز المنطوقة ثم تفسيرها، وعند الانتقال من الألفاظ إلى تدبر المعاني تحدث لدى المستمع آثار عجيبة»[(١)].

ومن المناسب في تعليم التدبر الاستفادة من المختبرات الحديثة المعدة لغرض الاستماع، وممارسة هذه العملية خلال اليوم الدراسي، مع مراعاة مستويات الدارسين، واستحضار الأهداف السلوكية المحددة، حين اختيار المواد المسموعة.

ومن وسائل تربية هذه الملَكَة ما يلي:

١ ـ مراعاة المعلم لأسس تعليم الاستماع، ومن ذلك:

أ ـ أن يكون المعلم قدوةً للطلاب في حسن الاستماع.

جـ ـ توضيح الهدف من الاستماع، بحيث يكون مفهوماً لدى المتعلمين.

د ـ الاستماع إلى الطلاب، وتشجيعهم والثناء عليهم، مهما كانت مستوياتهم القرائية، وقد ورد أن النبي ﷺ استمع إلى بعض أصحابه، وأثنى عليهم، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن، وفينا الأعرابي والعجمي، قال: فوقف علينا يستمع، فقال: (كلٌ حسن) رواه أبو داود في الصلاة برقم ٨٣٠، وفي رواية سهل بن سعد رضي الله عنه: (ونحن نقترئ) رواه أبو داود في الصلاة برقم ٨٣١، أي يقرئ بعضنا بعضاً.

(١) الوسيلة لحفظ القرآن الكريم، ص١١.

٢ ـ حسن تقديم المادة المسموعة

أ ـ إعطاء اهتمام أكبر للألفاظ الجديدة، أو غير المألوفة، وتُربط بما عند المتعلمين من خبرة لغوية.

ب ـ وضوح النطق، وصفاء الصوت للآيات التي يسمعها المتعلمون، سواءً كانت مسجلة على شريط، أو مقروءةً من أحد الطلاب.

جـ ـ عدم التقيد بعدد محدد من مرات الاستماع، وقد يكون من الأفضل زيادة تكرارها ليتثبت الطلاب من الألفاظ والمعاني.

٣ ـ تعويد الطلاب على جلسات الاستماع من الآخرين

والتعويد أسلوب تربوي يجعل الأمر المطلوب سجيةً غير متكلفة، وأمراً سهلاً على النفس، لا تجد في ممارسته نفرةً ولا إعراضا، ولا تشعر في أدائه صعوبةً أو إحراجا، وقد فعله النبي ﷺ مع بعض أصحابه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ (اقرأ علي القرآن) قلت: أأقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: (إني أحب أن أسمعه من غيري)، قال: فافتتحت سورة النساء، فلما بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال: (حسبك)، فالتفت فإذا عيناه تذرفان .رواه البخاري في باب من أحب أن يستمع القرآن من غيره برقم ٥٠٤٩. وتعليقاً على هذا الحديث، يقول ابن حجر رحمه الله: «يحتمل أن يكون الرسول ﷺ أحب أن يسمعه من غيره ليكون عرض القرآن سنة يُحتذى بها، كما يحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه، وذلك لأن المستمع أقوى على التدبر، ونفسه أخلى وأنشط من القارئ، لاشتغاله بالقراءة وأحكامها»(١) .

فإذا تفرغ المتربي ساعةً، أو بضع ساعة، أو دقائق معدودة، يستمع فيها لقارئ، يخشع في قراءته، ويحسن الوقف والابتداء، ولا ينشغل المتربي أثناء

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج٩ ص٩٤.

الاستماع بتلاوة، فإن أذناه تتعود على جرس الكلمات والآيات، وينصرف ذهنه إلى التفكر في الآيات، ويتفاعل قلبه مع المعاني.

ومن الوسائل المناسبة في الجلسات للتعويد على الاستماع:

أ - حث الطلاب على استخدام التسجيلات والأشرطة القرآنية، أو الاستماع إلى إذاعة القرآن.

ب - حثهم على الاستماع إلى قراءات الزملاء والأساتذة، في البيئات التعليمية والتربوية.

جـ - حث المتعلمين على التركيز أثناء خطبة الجمعة، وخاصةً في الآيات التي ذُكرت أثناءها. وبذلك يدخل المتعلم للمسجد يوم الجمعة وهو متحفزٌ لسماع الآيات المتلوة، ومعرفة معناها، وعلاقتها بموضوع الخطبة.

د - تذكيرهم بأهمية حسن الاستماع لتلاوات الأئمة في الصلوات الجهرية، والتفكر في معاني الآيات، وتعويد النفس على ذلك.

هـ - تخصيص وقت خاص للاستماع للقرآن في المنزل، أو المدرسة، أو في حلقة التحفيظ، ويكلف المعلم طلابه بكتابة أهم الفوائد المستنبطة من الاستماع.

٤ ـ استثمار بعض أوقات الفراغ

لا يخفى أن وقت الفراغ فرصةٌ للمربي، يستثمرها فيما يعود على المتربين بالنفع والفائدة، ولكن الملاحظ في الجلسات التربوية قلة اسثمارها في التربية على السماع القرآني، الذي يؤدي إلى تقوية ملكة التدبر لديهم.

وهذا الأمر كان يفعله السلف رحمهم الله تعالى، ويحرصون عليه، ذكر ابن تيمية رحمه الله أن «هذا سماع سلف الأمة، وأكابر مشايخها وأئمتها كالصحابة والتابعين، ومن بعدهم من المشايخ كإبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، ويوسف بن أسباط،

وحذيفة المرعشي، وأمثال هؤلاء. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى رضي الله عنه: ذكرنا ربنا، فيقرأ وهم يسمعون ويبكون، وكان أصحاب محمد ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ القرآن، والباقي يستمعون»[(١)].

ومن الأوقات المناسبة للاستثمار في تقوية ملكة الاستماع:

- الاستماع للقرآن أثناء مرافقة المتربين في السيارة، أو مرافقة الوالد لأولاده، والتنبيه إلى التركيز، وشد الانتباه لسماع الآيات والتفكر في معانيها.
- التوجيه إلى أن يستثمر المتربي وقت فراغه بالاستماع أحياناً إلى النماذج الخاشعة، التي يتجاوب القلب معها، واختيار القراء الذين يحركون القلوب، ويظن المستمع أنهم يخشون الله تعالى.

٥ ـ المناقشة والمحاورة بعد الاستماع

تعتبر طريقة المناقشة والمحاورة من أهم أساليب تعليم التدبر، وذلك لما لها من أثر كبير في شد انتباه المتعلمين، وتركيز انتباههم في الموضوع، بينما إلقاء أي موضوع بالطريقة التقليدية قد يجلب السآمة والملل، أما إذا صاحبه أنشطة أخرى كالأسئلة والمحاورة، فإن ذلك يؤدي إلى زيادة الاستيعاب من ناحية، ويربي جوانب أخرى في شخصية المتربي، ومنها تقوية ملكة الاستماع.

فلكي تتقوى ملكة الاستماع لدى المتربين، يحسن بالمربي أن يدعم توجيهاته للاستماع ببعض الأسئلة والمحاورات العلمية والإرشادية، حيث يمكنه أن يُسمعهم مقطعاً من الآيات القرآنية، ثم يسألهم عن معناها. وربما يناقشهم في بعض العبارات والجمل التي سمعوها، وما يتعلق بها من معاني وأحكام وفوائد. وقد يطلب منهم ذكر أكبر قدر من المعاني والمفاهيم التي

---

(١) التحفة العراقية، ص٥٩.

استمعوا إليها، وذكر تلك المعاني والمفاهيم بالترتيب الذي وردت فيه. ومن الوسائل أيضاً أن يطلب منهم وضع عنوان لما استمعوا إليه من الآيات.

٦ ـ إعطاء تدريبات عملية

يستطيع المعلم أن يبتكر أساليب جديدة في تعليم الاستماع، وأن يعطيهم تدريبات عملية لتقوية ملكة الاستماع، من ذلك أن يقرأ عليهم آيات من كتاب الله أو سورة من السور التي تحمل في مضامينها قصةً من القصص القرآنية، مثل قصة موسى عليه السلام مع قومه، أو قصة أصحاب السبت، أو قصة الهدهد مع سليمان عليه السلام، أو قصة الأخدود في سورة البروج، ثم يجري عليها الخطوات التالية:

أ ـ قراءة القصة سرداً من أحد كتب السنة أو التفسير، ولا بأس من إعادتها مرتين أو ثلاثاً.

ب ـ يطلب المعلم من الجميع كتابة ملخص للقصة.

جـ ـ يطلب المعلم من التلاميذ إعادة سرد القصة بكلماتهم الخاصة وبألفاظهم الخاصة.

د ـ يسأل المعلم أسئلة تفصيلية عن القصة، ويسمع الإجابة من أكثر من طالب.

هـ ـ استعراض واستنباط أهم الفوائد المستخرجة من القصة.

٧ ـ التنويع في مواد الاستماع القرآنية

والتنويع يُقصد به تعدد مواضع القرآن التي يُستمع إليها، وذلك حسب السور أو الأجزاء المقررة. وقد يكون التنويع بين مراتب ترتيل القرآن الثلاثة، وذلك حسب سرعة القراءة، وتكون التلاوة المسموعة كما يلي:

أ ـ تلاوة بمرتبة التحقيق، وهو عبارة عن إعطاء الحروف حقها من إشباع

المد وتحقيق الهمز، وإتمام الحركات، وتوفية الغنات، وبيان الحروف، والقراءة بتؤدة واطمئنان.

ب ـ تلاوة بمرتبة الحدْر، وهو إدراج القراءة وسرعتها مع مراعاة أحكام التجويد.

جـ ـ تلاوة بمرتبة التدوير: وهي مرتبة متوسطة بين التحقيق والحدر.

وبذلك يتعود المتعلمون في مهارة الاستماع على مستويات مختلفة من مراتب التلاوة.

كما أن التنويع قد يكون في مقاطع السور، وتتباين هذه المقاطع ما بين مقاطع طويلة وأخرى قصيرة، أو مقاطع آياتها طويلة مثل آية الدين، وقصيرة مثل سورة الكوثر والإخلاص. وفي هذا تعويد لهم على الاستماع إلى مختلف الآيات، حسب طولها أو موقعها من المصحف الشريف.

الفصل الرابع

مراحل تعليم التدبر

المرحلة الأولى: مرحلة التهيئة القلبية

المرحلة الوسطى: مرحلة الممارسة العملية

المرحلة المتقدمة: مرحلة التدبر المتقَن

مقدمة في التدرج في تعليم التدبر

يتضمن تدريس أي مادة نوعاً من الاختيار والانتقاء، ونوعاً من التنظيم، وذلك لأنه لا يمكن تدريس الرصيد البشري من المعرفة دفعةً واحدة، ويلزم لذلك الاختيار المقنن للمعرفة التي ستقدم للفئة التعليمية المحددة. ومن غير المعقول أن المجال المعرفي الذي تم اختياره، سوف يُصب في أذهان المتعلمين مرةً واحدة، بل لا بد أن يتم على فترات متعددة، وهذه الفكرة هي ما سوف يتم تطبيقه على موضوع التدبر.

ويهدف هذا المبحث إلى تنظيم المخزون المعرفي للتدبر، ووضعه في مستويات ومراحل، بعضها قبل بعض، طبقاً لمعايير اجتهادية مبنية على الأسس التربوية والنفسية.وهذه المراحل تنتقل بالمتربي وتتدرج معه شيئاً فشيئاً، حسب عمره الزمني ونضجه الفكري، ولا يعني ذلك أنها مراحل فاصلة، بل يمكن للمربي أو للمعلم أن يستفيد من خطوات وتوجيهات أي مرحلة لغيرها من المراحل.

والنضج لدى المتعلم عملية ارتقائية تهيئه لمزيد من التعلم، وتبصره بالواقع وتعرفه بطرق الاستفادة من إمكانياته وموارده، «ولعامل النضج أهمية كبيرة في تحديد أنماط سلوك الفرد، فكلما كان الإنسان أكثر نضجاً، أحرز مقداراً أكبر من التعلم، وذلك حين تتكافأ العوامل الأخرى المؤثرة في التعلم، فتلاميذ المرحلة الإعدادية يستوعبون مفاهيم أكثر وأعمق تجريداً، كما أنهم قادرون على اكتساب المهارات الحركية، وخاصةً المعقدة منها بدرجة أكبر من تلاميذ المرحلة الابتدائية»[١].

---

(١) سيكولوجية التعلم بين النظرية والتطبيق، ص٧٦.

وبناءً على ما سبق فإن المراحل المقترحة لتعليم التدبر تنقسم إلى ثلاثة مراحل هي:

المرحلة الأولى: وتسمى مرحلة التهيئة القلبية.

المرحلة الوسطى: وتسمى مرحلة الممارسة العملية.

المرحلة المتقدمة: وتسمى مرحلة التدبر المتقَن.

وفيما يلي تفصيل هذه المراحل وأساليبها المعينة على تنفيذها.

المرحلة الأولى

مرحلة التهيئة القلبية

وهي المرحلة التي يبدأ فيها المتربي التعامل مع مفهوم تدبر القرآن، وليس بالضرورة أن تكون هي سنوات المرحلة الابتدائية التي يتعلم فيها المتربي القراءة والكتابة، أو يبدأ فيها تعلم تلاوة القرآن العظيم. ولكن المرحلة الأولى هي المرحلة الأدنى لتعليم التدبر، وعلى اعتبار أن هذه المرحلة هي مرحلة التعليم الأساسي، فسنجد أنها تمتاز بعدة خصائص، منها[(١)]:

أ ـ الميل إلى النشاط العضلي والجسمي والعملي، وإلى الحركة واللعب.

ب ـ الرغبة في التعرف على عناصر البيئة التي يعيش فيها.

جـ ـ القدرة على إدراك العلاقات الزمانية والمكانية، والتشابه والتضاد.

د ـ ظهور بعض العمليات العقلية المختلفة كالتذكر والتخيل والتفكير.

وأهداف هذه المرحلة:

- تعريف المتعلمين بمفهوم التدبر وأهميته.
- التفاعل الوجداني مع سير المتدبرين.
- ربط التدبر بالواقع الترويحي للمتربين.

---

(١) المدرسة الابتدائية.. أنماطها الأساسية واتجاهاتها العالمية المعاصرة، ص٨٨.

- القدرة على التغني بالقرآن.
- بث وإحياء الوعي بأهمية قراءة القرآن بتدبر في نفوس المتعلمين.

والوسائل المناسبة للمرحلة الأولى في تعليم التدبر تتكون مما يلي:

أولاً ـ تعريف المتربين بمفهوم تدبر القرآن وأهميته.

ثانياً ـ الترغيب في التدبر.

ثالثاً ـ الترهيب من ترك التدبر.

رابعاً ـ التشجيع والتحفيز التربوي على التدبر.

خامساً ـ التعويد على الترتيل والتغني بالقرآن وتحسين الصوت به.

سادساً ـ عرض القصص القرآني بأسلوب ميسر.

سابعاً ـ إلزام الطلاب بمصحف المتدبرين.

ثامناً ـ الرحلات والبرامج الترويحية الهادفة المعينة على التدبر.

وفيما يلي تفصيل هذه الوسائل:

أولاً ـ تعريف المتربين بمفهوم تدبر القرآن وأهميته

يدرس كثير من الطلاب مادة القرآن الكريم في المدارس والحلقات وربما في الجامعات، وهو لا يعرف المقصود بالتدبر، ولم يعرف الهدف الأسمى من إنزال القرآن، وقد يحفظ الكثيرون القرآن، كله أو بعضه، عن ظهر قلب، ولكن لا تجدهم يقفون عند آياته، ولا يتأملون في معانيه أو يتدارسون أحكامه، ويظنون أن الهدف هو تلاوة الآيات بلا أخطاء نحوية أو إملائية، وأن غاية المنى هو حفظ القرآن في الصدور.

لذا ينبغي أن يكون من أولى مهمات معلمي القرآن، والمسئولين عن تعليم الطلاب في المدارس وحلقات القرآن، أن يبينوا لهم آداب القرآن،

وآداب حملته والقارئين له. ومن المستحسن أن يُقَرَّر كتاب في هذا الموضوع لتدارسه مع الطلاب، وخاصةً في المستويات العليا من هذه المرحلة، ومن الكتب المناسبة كتاب (التبيان في آداب حملة القرآن) للإمام النووي، وكتاب (أخلاق أهل القرآن) لأبي بكر الآجري.

كما ينبغي أن ينبه المعلم منذ السنوات الأولى لتدريس القرآن على مفهوم التدبر بمعناه العام، وأن يقف المعلم وقفات متعددة مع تلك الآيات التي تحث على التدبر وتنهى عن ضده. إن من المهم مثلاً الوقوف عند قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

ففي دروس التلاوة والتجويد والحفظ وغيرها، يذكر المعلم بين الفينة والأخرى أن الغرض من هذا كله هو فهم معاني القرآن، وتدبر آياته لكي يُعمل بها، ويكون لها أثر إيجابي في الحياة والسلوك.

ومن التدبر أن يتذوق المتربي حلاوة التراكيب الكلامية للقرآن الكريم، وأن يستشعر المعاني ودلالاتها، كما أن من المهم أن يبين المعلم أن تدبر القرآن يشمل الأمور التالية(١):

- معرفة معاني الألفاظ وما يراد بها.
- تأمل ما تدل عليه الآية أو الآيات، مما يفهم من السياق أو تركيب الجمل.
- اعتبار العقل بحججه، وتحرك القلب ببشائره وزواجره.
- الخضوع لأوامره، واليقين بأخباره.

ثانياً ـ الترغيب في التدبر

يبذل المربي جهده لحمل المتربين على التدبر، وهم في حاجةٍ إلى أن تُزاد دافعيتهم للتدبر، وأن تتوفر لديهم الرغبة القوية والحب الشديد له، فذلك

(١) تدبر القرآن، ص١٢.

أدعى لملازمته، والاستفادة من قراءتهم. ومن أساليب زيادة الدافعية أسلوب الترغيب، وذلك ببيان الفضائل والحسنات التي يجنيها المتعلم من التدبر، وكذلك بيان الجوانب المادية والمعنوية. ويُعرف الترغيب بأنه: «التشويق للحمل على فعل أو اعتقاد أو تصور ما، وترك خلافه»(١).

إن من أولى وسائل ترغيب المتربين في التدبر أن يحثهم المربي على الإكثار من تلاوة القرآن كلما سنحت لهم الفرصة، وأن يخصصوا أوقاتاً محددة من أيامهم لقراءة القرآن، وأن يحرصوا على ذلك أشد من حرص قراء الصحف على قراءتها. كما أن المربي يغرس حب القرآن في قلوب طلابه، ويبين لهم فضائله، وأثره في سعادة العالمين، «ومن المعلوم أن القلب إذا أحب شيئاً تعلق به، واشتاق إليه، وشغف به، وانقطع عما سواه، والقلب إذا أحب القرآن تلذذ بقراءته، واجتمع على فهمه ووعيه، فيحصل بذلك التدبر المطلوب، وعليه فتحصيل حب القرآن من أنفع الأسباب لحصول أقوى وأعلى مستويات التدبر، لكن حب القرآن ليس كلمة نقولها باللسان، وإنما هو شيء في القلب له علامات ظاهرة منها التشوق له، وكثرة قراءته وتدبره، والعمل بما فيه، والرجوع إليه في كل صغيرة وكبيرة من شئون حياتنا»(٢).

فعلى المعلم في المدارس أو في حلقات القرآن أن يبين للمتعلمين أن الله مدح من تدبر القرآن، وأثنى على من يتأثر به، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

كما أثنى رسول الله ﷺ على المتدبرين في حديث التدارس الذي سبق ذكره.

---

(١) معالم في التربية، ص٢٠٨.
(٢) المساعد لحفظ القرآن، ص٦٠.

ومن الوسائل التي يستخدمها المربي للترغيب في التدبر لدى المتعلمين ما يلي:

- تكليفهم بجمع آيات تدبر القرآن، وبيان آثارها في صلاح القلب وزيادة الإيمان.
- دفعهم لكتابة البحوث المختصرة حول آيات أو قصص القرآن، وإعطائهم درجات تُحتسب في التقويم النهائي للمادة.
- انتهاز الفرص لإسماعهم الحوافز المعنوية، كالمدح والثناء، وتكريمهم في الفعاليات الطلابية المختلفة.
- إذكاء روح المنافسة بين المتعلمين.
- تخصيص الجوائز المادية المناسبة لرغباتهم واهتماماتهم.
- ربط التدبر بالأمور المادية والمعنوية المحببة إلى نفوس المتربين.

ثالثاً ـ الترهيب من ترك التدبر

تفتقر المناهج الدراسية إلى مفردات الترهيب من ترك التدبر، مع أن هذه المفردات كثيرة ومتنوعة في كتاب الله، لذلك على المربي أن يتدارك هذا القصور بعرض الآيات التي تحذر أشد التحذير من الإعراض عن التدبر، وعليه أن يقف عندها، ويبسط معناها بأسلوب ميسر يفهمه المتعلمون في هذه المرحلة. ومن الأساليب التحذيرية أسلوب الترهيب، وهو «التخويف للحمل على ترك فعل أو اعتقاد أو تصور ما»[(١)]، وهذا الأسلوب وقائي مانع، يحذر المتربي المسلم من أن يتورط فيما لا يرضي خالقه.

وقد بين القرآن أن أصحاب القلوب المقفلة هم المعرضون عن تدبر القرآن، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]،

---

(١) معالم في التربية، ص٢٠٨.

قال القرطبي: «عاب المنافقين بالإعراض عن التدبر في القرآن والتفكر فيه وفي معانيه»(١). وقال المراغي: «أي أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي وعظ بها في آي كتابه، ويتفكرون في حججه التي بينها في تنزيله، فيعلموا خطأ ما هم عليه مقيمون، أم هم قد أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أُنزل في كتابه من العبر والمواعظ؟ والخلاصة أنهم بين أمرين كلاهما شر، وكلاهما فيه الدمار والمصير إلى النار، فإما أنهم يعقلون ولا يتدبرون، أو أنهم سُلبوا العقول فلا يعون شيئاً»(٢).

ومن صور الترهيب لمن ترك التدبر ما يلي:

أ ـ عدم رضا الرسول ﷺ عن تاركي التدبر، وشكواه إلى ربه من هجر القرآن، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠]، وقد ذكر ابن قيم الجوزية أنواع هجر القرآن، وبين أن منها هجر التدبر والتأمل المؤديان إلى العمل والتنفيذ، يقول رحمه الله: «الثاني: هجر العمل به، والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به»(٣).

ب ـ ترك التدبر من صفات المتكبرين، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٧]. يقول ابن سعدي رحمه الله: «ولى مستكبراً: أي أدبر إدبار مستكبرٍ عنها، رادٍ لها، ولم تدخل قلبه، ولا أثرت فيه، بل أدبر عنها»(٤).

جـ ـ عدم إعذار تاركي التدبر، فغير البشر تأثروا بالقرآن، وهم أولى بذلك منهم، يقول تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٥ ص٢٩٠.
(٢) تفسيير المراغي، ج٩ ص١٤٨.
(٣) مختصر الفوائد، ص٣٧.
(٤) تيسري الكريم الرحمن، ص٦٤٧.

يقول القرطبي: «حث على تأمل مواعظ القرآن، وبين أنه لا عذر في ترك التدبر، فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه، ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعةً متصدعةً متشققةً من خشية الله، وأنتم أيها المقهورون بإعجازه لا ترغبون في وعده، ولا ترهبون من وعيده»(١).

د ـ التنفير بذكر النماذج السيئة، وقد بين القرآن في مواضع كثيرة أصنافاً من البشر لم يعملوا بمقتضى الوحي الإلهي ولم ينتفعوا به، فذمهم ووصفهم بأشنع الأوصاف، ومن هؤلاء من أخبر الله عنهم بقوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]. ومن هذه الآية، قارن بعض السلف حال أهل التوراة مع حال بعض أفراد هذه الأمة الذين يقرأون القرآن، ولا يتدبرونه، ولا يعملون به، يقول الطرطوشي: «فدخل في عموم هذا من يحفظ القرآن من أهل ملتنا، ثم لا يفهمه ولا يعمل به»(٢).

وفي وصف النبي (للخوارج من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ﷺ: (يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم) رواه البخاري برقم ٧٥٦٢. يقول الشاطبي: «أي إنهم يأخذون أنفسهم بقراءة القرآن وإقرائه، وهم لا يتفقهون فيه ولا يعرفون مقاصده»(٣). فلا ينبغي أن يكون النموذج القدوة متخِذاً تعلم القرآن وتعليمه وظيفةً دنيويةً لا علاقة لها بإيمانه وعبادته، ولا يصح أن تكون الآيات تأمر أو تنهى عن أمور وهو يخالفها، وقد ذم الله سبحانه في كتابه الكريم الذين يقولون ما لا يفعلون.

يقول ابن حجر: «قال النووي: المراد أنهم ليس لهم فيه حظ إلا مروره

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٧ ص٣٦٦.
(٢) البدع والحوادث، ص١٠١.
(٣) الاعتصام، ج٢ ص٢٢٦.

على لسانهم، لا يصل إلى حلوقهم، فضلاً عن أن يصل إلى قلوبهم، لأن المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب»(١).

وعلى المربي أن يبين أنه ليست العبرة بقراءة آيات من الكتاب، وليس التنفير من أولئك الأقوام إلا لأنهم لم يتفاعلوا إيجابياً مع تلك الآيات، ولم يغيروا من تصرفاتهم وسلوكهم، وبقوا على حالهم من الإعراض والغواية. قال الزركشي: «ذمهم بإحكام ألفاظه وترك التفهم لمعانيه»(٢).

ورغم خطورة الإعراض عن تدبر القرآن، إلا أن القراءة المجردة من التدبر لا تمنع من حصول الأجر العظيم، ومضاعفة الحسنات مع كثرة الحروف المقروءة، لكن القراءة بالتدبر أعلى وأكثر أجراً.

رابعاً ـ التشجيع والتحفيز التربوي على التدبر

يؤدي أسلوب التشجيع إلى إثارة النوازع والقدرات الكامنة في النفس البشرية، وتحريك القوى الخفية التي يمتلكها الفرد ولا يستثمرها البتة، أو يكون استثماره لها هزيلاً. ولذلك فإن التشجيع على التدبر يحفز القوى الذهنية، ويزيل الموانع الفكرية، وبه يستطيع القارئ العادي، أي غير المتخصص في علوم اللغة أو القرآن أو الشريعة، أن يحصل على قدر مناسب من التدبر. و«إن مما يصرف كثيراً من المسلمين عن تدبر القرآن والتفكر فيه، وتذكر ما فيه من المعاني العظيمة اعتقادهم صعوبة فهم القرآن، وهذا خطأ في مفهوم تدبر القرآن، وانصراف عن الغاية التي من أجلها أنزل، فالقرآن كتاب تربية وتعليم، وكتاب هداية وبصائر لكل الناس، كتاب هدى ورحمة وبشرى للمؤمنين»(٣).

قد يعرف المتعلم النصوص الترغيبية والنصوص الترهيبية في موضوع

---

(١) فتح الباري، ج١٢ ص٢٩٣.
(٢) البرهان، ج١ ص٥٣٨.
(٣) مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، ص١٦.

التدبر، ولكنه لا يُقْدِم على الممارسة العملية للتدبر، وهذا الإحجام قد يكون سببه الاعتذار بالجهل، أو الظن باستحالة الفهم، وكلا هذين الأمرين مذموم، يقول ابن القيم: «من قال إن له تأولاً لا نفهمه ولا نعلمه، وإنما نتلوه متعبدين بألفاظه ففي قلبه منه حرج»(١).

ومن الحيل الإبليسية اعتذار البعض بالتخوف من القول على الله بغير علم، أو إشعار النفس بصعوبة اللغة والألفاظ التي كُتب القرآن بها، يقول ابن هبيرة: «ومن مكايد الشيطان تنفيره عباد الله من تدبر القرآن لعلمه أن الهدى واقع عند التدبر، فيقول هذه مخاطرة حتى يقول الإنسان أنا لا أتكلم في القرآن تورعاً»(٢).

وفي هذه الحالة ينبغي على المعلم أن يشجع المتعلم على التدبر بأمور منها:

أ ـ تعريفه بخصائص القرآن

للقرآن الكريم خصائص كثيرة، ومنها تيسيره للفهم، وإمكانية الإحاطة ببعض معانيه، وقد بين المولى ذلك وجلاه بأوضح عبارة، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٢٢].

«أي ولقد سهلنا لفظه، ويسرنا معناه، وملأناه بأنواع العبر، ليتعظ من شاء، ويتدبر من أراد»(٣). فتيسير القرآن للفهم أمر يستطيعه معظم الناس، وليس خاصاً بفئة من البشر، ولابد من إبراز هذه الخصيصة بكلمات موجزة يستوعبها أفراد هذه المرحلة، وذلك حتى لا يمنعه من التدبر أي من الشبهات والأوهام التي قد تنتاب بعض المتعلمين، يقول محمد الدويش: «وتقرير هذا المعنى وتجليته لدى المتعلم ينمي رغبته في التدبر ويدفعه لذلك، فتزول عنه

(١) التبيان في أقسام القرآن، ص١٤٤.
(٢) ذيل طبقات الحنابلة، ج٣ ص٢٧٣.
(٣) تفسير المراغي، ج٩ ص٢٧٥.

كثير من العوائق التي يتوهم من خلالها أن ألفاظ القرآن مغلقة لا يفهم الإنسان منها شيئاً»[(١)].

ويستطيع المتعلم في هذه المرحلة فهم الكثير من كلمات وعبارات القرآن، فهو يفهم المقصود من الجنة والنار، والنعيم والعذاب، ويفهم معنى الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أو الذين فسقوا واجترحوا السيئات، وغيرها من جمل وألفاظ القرآن، ولا يستلزم الأمر حفظ قاموس من قواميس اللغة، ولا معرفة أدق التفصيلات اللغوية، أو فهم مبهمات المسائل التي لا يفطن لها إلا المتخصصون، لأن «من قرع سمعه قوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ٢٠]، يفهم معناه دون أن يعرف أن (ما) كلمة شرط، و(تقدموا) مجزوم بها لأنه شرطه، و(تجدوه) مجزوم بها لأنه جزاؤها، ومثلها كثير... فيا ليت شعري! ما الذي خص الكتاب والسنة بالمنع عن معرفة معانيها، وفهم تراكيبها ومبانيها، حتى جعلت كالمقصورات في الخيام.. ولم يبق لنا إلا ترديد ألفاظها وحروفها»[(٢)].

فمعظم القرآن سهلٌ فهم آياته، وميسرٌ معرفة معانيه وتراكيبه، ولا يشترط له استيعاب المصطلحات الدقيقة، التي تُذكر في كتب أصول الفقه، والنحو، والبلاغة وغيرها.

ب ـ توضيح سهولة الألفاظ والعبارات للقارئ العادي

فكما أن تيسير فهم كتاب ربنا سبحانه وتعالى من مميزات هذا القرآن، فهو كذلك سهل الألفاظ والعبارات، ويمكن بتشجيع المتربي أن يستخرج المعنى الإجمالي لكثير من الآيات. وقد أكد ابن عباس رضي الله عنهما هذه الحقيقة بتقسيم أنواع التفسير إلى أربعة أقسام، يقول ابن عباس رضي الله عنهما:

(١) تنمية القدرة على تدبر القرآن، ص٨٣.
(٢) إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، ص٣٦.

«التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله»(١).

وبالنظر في تقسيم ابن عباس رضي الله عنهما لأوجه التفسير الأربعة، يتبين أن المتعلم العربي العادي يمكنه الإحاطة بالوجهين الأولين من أوجه التفسير، ويستطيع أن يفقه مباشرةً ما لا يقل عن خمسين في المائة من القرآن، وما يصعب عليه فهمه يمكنه الرجوع إلى أهل العلم، أو إلى الكتب والمؤلفات التي لا حصر لها، بعد استشارة العلماء الفقهين.

جـ ـ التربية على دراسة اللغة العربية منذ المراحل المبكرة

فمما يشجع على تدبر القرآن الإحاطة باللغة التي نزل بها، وهي اللغة العربية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] وقال أيضاً: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣]، وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧] .

ولذا لا بد من العناية بتدريس اللغة العربية، وإعطائها قدراً أكبر من حصص الجدول الدراسي، ، اللقاءات القرآنية. ولا شك أن كثرة تعامل المتربي مع اللغة وألفاظها وعباراتها يزيده أُلفةً بها، وفهماً لمراداتها، من خلال التوجيه إلى ضرورة عناية المربين بلغة القرآن، وتكثيف دروس اللغة، وعدم اختلاطها بأية لغة أخرى تزاحمها، وإبعاد المتعلمين عن اللغات الأجنبية وخاصةً في المراحل التعليمية المبكرة.

يقول الشاطبي: «فمن حيث كان القرآن معجزاً أفحم الفصحاء وأعجز البلغاء أن يأتوا بمثله، فذلك لا يخرجه عن كونه عربياً جارياً على أساليب كلام العرب، ميسراً للفهم فيه عن الله ما أمر به وما نهى عنه، ولكن بشرط

(١) تفسير الطبري، ج١ ص٧٥.

الدربة في اللسان العربي. . . ، إذ لو خرج بالإعجاز عن إدراك العقول لمعانيه لكان خطابهم به من تكليف ما لا يطاق، وذلك مرفوع عن الأمة. . . ، وعلى أي وجه فرض إعجازه، فذلك غير مانع من الوصول إلى فهمه وتعقل معانيه»[(١)].

خامساً ـ التعويد على الترتيل والتغني بالقرآن وتحسين الصوت به

أمر الله في كتابه الكريم بترتيل القرآن لأن ذلك يساعد على تيسير الحفظ والفهم والتدبر، فقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]. وهذا هو هدي النبي ﷺ، فقد «كانت قراءته ترتيلا لا هذا، ولا عجلة، بل قراءة مفسرة حرفاً حرفاً. وكان يقطع قراءته آيةً آية، وكان يمد عند حروف المد، فيمد (الرحمن)، ويمد (الرحيم)»[(٢)]. وكان ﷺ يتغنى به ويُرجِّع صوته به أحياناً، كما رجَّع يوم الفتح في قراءته ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]. وحكى عبد الله ابن مغفل ترجيعه، آ آ آ ثلاث مرات .رواه البخاري في فضائل القرآن برقم ٨١.

يقول ابن كثير: «المطلوب شرعاً إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه، والخشوع والخضوع والانقياد والطاعة»[(٣)].

ويبين المربي لطلابه، وهو يحثهم على الإكثار من تلاوة القرآن، أنه ليس المقصود الانتهاء من أكبر عدد من الختمات، فذلك يدفع المتربي لا شعورياً إلى القراءة الهذرمية، (والتي لا يتبين للسامع حروفها، ولا يستشعر القارىء مدلولها)، وإنما يحثهم على التأني وعدم الاستعجال، قال القرطبي: «الترتيل أفضل من الهذ، إذ لا يصح التدبر مع الهذ»[(٤)].

وقد أكدت النصوص الشرعية، وبين المهتمون بتعليم القرآن، أن الترتيل

(١) الموافقات، ج٣ ص٨٠٥.
(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ج١ ص٤٨٢.
(٣) فضائل القرآن، ص١٢٥.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج١٥ ص١٩٢.

والتغني بالقرآن يزيد القراءة حلاوةً وانجذاباً. والصوت الحسن والأداء الجذاب موهبةٌ من الله يهبها لبعض عباده، ويجب على المربي أن يشجع طلابه لإبرازها، قال ﷺ: (زينوا القرآن بأصواتكم) رواه أبوداود في الصلاة برقم ١٤٦٨، وقال ﷺ: (ما أذن الله لشيء، ما أذن لنبي حسن الصوت، يتغنى بالقرآن، يجهر به) رواه مسلم برقم ٧٩٢.

وعلى المربي الحصيف أن يتفرس في طلابه، وينصت لقراءاتهم، فمن كان يملك تلك الموهبة فليشجعه على المحافظة عليها، وصقلها والعناية بها. ومن صور العناية بها توجيه المتربي للحلقات القرآنية، وتقديمه في الحفلات والمناسبات، كي ينفع نفسه، ويفيد مجتمعه، ويشنف الآذان، ويُسمعها القرآن بالصوت الجميل، بدلاً من أن تتلقفه شياطين الإنس والجن فتصرفه نحو اللهو والغفلة، وأماكن الخنا والفجور.

وقد حث النبي ﷺ المتعلمين على إحسان القراءة والتنافس في ذلك، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: (أحسن الناس قراءةً الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله) صححه الألباني في الصحيحة ج٤ ص١١١.

و يفيد هذا الحديث أن خشية الله تعالى تنعكس على أداء القارئ في تلاوته، وأن هذه القراءة هي أحسن أنواع القراءات. كما يفيد الحديث أن الحسن في القراءة درجات، وأعلاها قراءة من يخشى الله تعالى، فتظهر هذه الخشية في قراءته.

ومن لم يكن ذا صوت حسن من الطلاب فيُعوّد على التحسين ما استطاع إلى ذلك سبيلا، مع مراعاة اجتناب التلحين والتمطيط الذي يذهب بجمال الترتيل، ويُنفِّر الأسماع، كما يحثهم على التغني بالقرآن، ويحذرهم من الإعراض عن ذلك، عن عبدالجبار بن الورد قال: سمعت ابن أبي مليكة يقول: قال عبيدالله بن أبي زيد: مر بنا أبو لبابة، فأتبعناه حتى دخل بيته، فدخلنا عليه، فإذا رجل رث البيت، رث الهيئة، فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)، قيل للراوي: يا أبا

محمد! أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال: يُحسِّنه ما استطاع .رواه أبو داود في الصلاة برقم ١٤٧١، وإسناده صحيح.

ويُحث الطالب على الاستماع إلى القراء ذوي الأصوات الخاشعة الجميلة، ويحاول الاستفادة منهم، ويتبع المربي الأساليب المختلفة في حث الناشئ على تحسين صوته، واتخاذ نغمةٍ محببةٍ إلى نفسه، وملازمتها، وذلك بإجراء المنافسات بين الطلاب، وإعطاء مزيد من الدرجات لمن يُحسِّن صوته. ومما يساعد على تحسين الصوت توضيح بعض الأحكام المتعلقة بتلاوة القرآن، وكذلك «الالتزام بأحكام التجويد، وإخراج الحروف من مخارجها الصحيحة، وأن يقرأ القرآن بالتفخيم، فلا يلجأ إلى النعومة والتكسر»(١).

ومن الملاحظ أن النفوس تنجذب للقراءة المرتلة الخاشعة أكثر من انجذابها للقراءة العادية، وحين تنجذب الأفئدة للقراءة، تستمع إلى الآيات بقلب مفتوح وصدر مشروح، ويؤدي ذلك إلى زيادة التأمل والتدبر، وبالتالي زيادة الإيمان في القلب، يقول النووي: «قال العلماء: والترتيل مستحب للتدبر وغيره...، لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام، وأشد تأثيراً في القلب»(٢).

سادساً ـ التدبر بعرض القصص القرآني بأسلوب ميسر

تُعد القصة من الأساليب التعليمية والتربوية الناجحة التي يقبل عليها الصغار والكبار، وتميل إليها النفوس، وتتفاعل مع أحداثها ومراحلها، فلها أثرٌ كبيرٌ في غرس القيم والمثل، وتكوين الاتجاهات وتقويم السلوك، ولها أثر في إصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق، وهذه الآثار التربوية وغيرها تتحقق من خلال القصة القرآنية التي تمتاز بأنها(٣):

---

(١) كيف نحيا بالقرآن، ص١٠٢.
(٢) التبيان في آداب حملة القرآن، ص٦٥.
(٣) أصول التربية الإسلامية، ص٣٩٠.

أ - واقعية وصادقة.

ب - موافقتها للفطرة البشرية.

جـ - تربية عواطف الإنسان على الخير.

د - ذات أغراض دينية.

والمربي في هذه المرحلة، يستعرض القصص القرآني بلغة سهلة مبسطة، تناسب مستويات الطلاب ومداركهم، ويركز حين السرد على الوقفات الإيمانية والخلقية التي تلامس حياتهم وتصرفاتهم، والتي يعرفها من خلال معايشته التربوية لهم. وعلى المربي أثناء سرده للقصة أن يتفاعل معها، فيغير من نبرة صوته رفعاً وخفضاً، أو شدةً وإرخاءً، وعليه أن ينوع في أسلوب كلامه بحسب الموقف المعروض من القصة، كي يحدث الأثر النفسي العميق في المستمع، «والمعهود - حتى في حياة الطفولة - أن يميل الطفل إلى سماع الحكاية، ويصغي إلى رواية القصة، وتعي ذاكرته ما يُروى له فيحاكيه ويقصه، وهذه الظاهرة الفطرية النفسية ينبغي للمربين أن يفيدوا منها في مجالات التعليم، لا سيما التهذيب الديني، الذي هو لب التعليم، وقوام التوجيه فيه. وفي القصص القرآني تربةٌ خصبةٌ تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، وتمدهم بزاد تهذيبي، من سيرة النبيين، وأخبار الماضين، وسنة الله في حياة المجتمعات، وأحوال الأمم ولا تقول في ذلك إلا حقاً وصدقاً»[١].

ويستفيد المربي من السياق القصصي القرآني في غرس المفاهيم والقيم الخلقية وتوجيه السلوك من خلال التدبر، ويستخدم لذلك الأساليب المختلفة، ومن ذلك أسلوب الأسئلة الموجهة، حيث تراعى أن تكون قصيرة، ومباشرة، ويسهل الإجابة عنها، ويراعى أيضاً أن يكون معناها في متناول التلاميذ ويسهل التعرف عليها، أي أنها تقيس المستويات الدنيا من التفكير

(١) مباحث في علوم القرآن، ص٣٢١.

كالمعرفة والحفظ، أما المستويات الأعلى من التفكير كالفهم والتطبيق وغيرهما فتؤخر إلى المرحلة الوسطى والمرحلة المتقدمة.

والقصص القرآني على أنواع، وذو مداخل متعددة، ولا يحتاج المتربي في هذه المرحلة أن يعرف جميع الأحداث والتفاصيل، لأن عقله لا يستوعب كل ما يقال له، وفي هذه المرحلة يمكن الدخول إلى أحداث القصة بمداخل تناسب أفهام الصغار، ومن ذلك سرد قصص الحيوانات في القرآن، مثل قصة الفيل في سورة الفيل، وقصة الناقة في سورة الشمس، وقصة الهدهد في سورة النمل، وقصة البقرة في سورة البقرة، وقصة الغراب في سورة المائدة وغيرها من القصص.

ومن القصص ما ورد في لقاء النبي ﷺ بالجن، وإنصاتهم لقراءته ﷺ، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]. ومما ورد في تدبر الجن وتأثرهم بالقرآن: ما ثبت عن جابر رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: (لقد قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد) .رواه الترمذي في كتاب التفسير برقم ٣٢٩١ وصححه الألباني.

سابعاً ـ إلزام الطلاب بمصحف المتدبرين

يعتمد نجاح العملية التعليمة على عدة أسس، من أهمها المعلم الكفء، والكتاب الجيد، والبيئة الدراسية الثرية بالخبرات التعليمية والتربوية. ويؤكد أساتذة المناهج على اختيار الكتاب المناسب لتدريس أي مادة لكي يستفيد الطالب من المعلومات المتوفرة به، ولكي يعزز ذلك الكتاب المهارات التي اكتسبها من المعلم أثناء الحصة الدراسية، ولذلك كان التأكيد منهم على

اختيار الكتاب التعليمي الذي يحقق الأهداف، ويتوافق مع احتياجات المرحلة العمرية والذهنية.

ويُراعي في تصميم واختيار الكتاب المدرسي ما يحقق الأهداف التعليمية والتربوية المنشودة، ويتلاءم مع المراحل التدريسية المختلفة، يقول أحد المختصين: «إن بيان سمات الإنسان الذي نتوجه إليه بالكتاب التعليمي، لا شك أنه قد يساعد في رسم صورة ذهنية للمتعلم، فيتمثل خصائصه واحتياجاته، وقدراته وإمكاناته، وظروف معيشته، التي يعمل في إطارها ويتعلم، وإن معرفة عناصر البيئة التعليمية قد يساعد المؤلف في إنتاج كتاب تعليمي أكثر ملاءمةً للمتعلم، من حيث استعداداته وقدراته، وطرق تعليمه، وبذلك يكون الكتاب أكثر فاعليةً في تحقيق الأهداف التربوية المنشودة، سواءً في تعليم هذا الكتاب في سياق الحفظ والاسترجاع، أو في سياق المذاكرة والتحصيل، أو في سياق الفهم والاستيعاب والتطبيقات الإبداعية»(١).

أما في تدريس القرآن بجميع فروعه الأساسية (التلاوة أو الحفظ أو التجويد) فإن الكتاب المقرر هو المصحف الشريف. ولكن تنوعت طبعات المصحف الشريف ما بين الحجم الكبير والصغير، أو الملون في حروفه وكلماته وغير الملون، أو نوع التجليد، وشكل الورق، ومادته، وغير ذلك من أنواع الصقل والتحسين، وبشتى المقاسات، وكل ذلك من أجل تشويق المتعلمين، وتيسير القراءة والحفظ.

والقراءة من المصحف تجعل المتعلم يتأمل في الآيات والكلمات، وهذا مما يساعده على التدبر، «ولا شك أن النظر في المصحف والقراءة منه، تمكن القارئ من التدبر أكثر من القارئ الذي يقرأ من حفظه، إذ يصب جهد ذهنه إلى التذكر بالألفاظ، وضبط النص القرآني، حتى لا ينساه، أما الذي يقرأ من المصحف، فإن التأمل فيه أوسع، والتفكر فيه أخشع»(٢).

---

(١) أسس بناء المناهج التربوية وتصميم الكتاب التعليمي، ص٣٠١.

(٢) منهج تدبر القرآن الكريم، ص٧٨.

من أجل هذا ينبغي العناية بالمصحف المناسب المعين على التدبر، ومما يساعد على التدبر في هذه المرحلة هو أن توضح المعاني الأولية للكلمات داخل المصحف، ومن طرق التوضيح أن تُلحق المعاني بهوامش صفحات المصحف، وهو ما يتوفر حالياً في بعض الطبعات المعاصرة، ويمكن أن نسمي هذا المصحف أو ما شابهه بـ (مصحف المتدبرين) قياساً على (مصحف الحفاظ). فوجود معاني الكلمات أمام ناظري المتعلم وهو يقرأ الآيات، يسهل الرجوع إليها لفهمها وتدبرها بمجرد القراءة، ويوفر الوقت، ويخفف عنه معاناة البحث في كتب التفسير واللغة، أو سؤال الأساتذة والمتخصصين، أو البحث في المواقع المتخصصة في الشبكة العنكبوتية.

وفي العصر الحاضر، يتوفر في المكتبات طبعات متنوعة من المصاحف المطبوعة مع مفردات وكلمات القرآن في هوامشها، أو في نهاية صفحاتها، وأحياناً تكون في أسطر داخل المتن. ومن أنواع هذه المصاحف ما يلي:

- مصحف محاط بتفسير الجلالين.
- مصحف وبهامشه السفلي معاني بعض الكلمات.
- مصحف بعنوان (معجم غريب القرآن الكريم مستخرجاً من صحيح البخاري) وتوجد معاني الكلمات في جوانب المصحف.
- (زبدة التفسير) وهو مختصر لتفسير فتح القدير للشوكاني، ويوجد بهامش مصحف المدينة النبوية.

لذا فإن على المعلم أن يُلزم طلابه باقتناء المصحف المهمش بمعاني الكلمات، وتعويدهم على النظر في المعاني أثناء التلاوة أو الحفظ أو المراجعة، وهذا الإلزام يحل مشكلة جهل كثير من الطلاب بأبسط معاني كلمات سور القرآن، والتي ربما تكون أكثر تردداً في قراءاتهم وفي صلواتهم. وعندما سئل أحد حفاظ القرآن عن كلمة ﴿ٱلصَّـمَدُ﴾ في سورة الإخلاص، لم يعرف معناها، ولم يعرف معنى ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ في سورة الفلق، وهذا حال

كثير من الطلاب الذي أمضوا سنوات طويلة في مدارس وحلق تحفيظ القرآن.

وللتخفيف على الطلاب في المدارس وحلقات تحفيظ القرآن، يمكن الإيعاز لمطابع القرآن أن تُعد أجزاء صغيرة ذات صفحات قليلة من (مصحف المتدبرين)، لكل جزء من أجزاء القرآن، و ذلك كي يتسنى للطالب حمله، والرجوع إليه وقت الحاجة، ويمكن النظر في تطوير (مصحف المتدبرين) ليتناسب مع المراحل العمرية المختلفة، أو ليتوافق مع الجوانب التدبرية المختلفة.

ومن ناحية أخرى فإن النظر في المعاني أثناء القراءة يذهب الملل الذي قد ينتاب الطالب أثناء الحفظ أو المراجعة، كما أنه تغيير للجو التعليمي الذي يعايشه المتعلم.

ثامناً ـ الرحلات والبرامج الترويحية الهادفة المعينة على التدبر

تعتبر الرحلات من الأنشطة غير الصفية التي يمارسها الطلاب خارج الفصل الدراسي، أو بعيداً عن الحلقة القرآنية، «وهذه الأنشطة لا تقل أهميةً عن المنهاج الدراسي داخل الفصول، بل إنها تعتبر المجال التطبيقي لما يتعلمه الدارس في حجرات الدراسة، وتعتبر مساندةً له، حتى تحقق المدرسة أهدافها من الناحية النظرية والتطبيقية»(١). ويمكن أن يستفيد منها المربون في حلقات تحفيظ القرآن، وتوظيفها للتدبر في آيات القرآن الكريم التي يحفظونها.

والرحلات من الوسائل الترويحية التي تهفو إليها نفوس المتعلمين، ويستخدمها الأساتذة والمربون كأحد وسائل الثواب والعقاب، أي الثواب للمجدين بإتاحة الفرصة للمشاركة فيها، والعقاب بحرمان المقصرين منها.

وتُستثمر الرحلات في تحقيق الأهداف المعرفية والأخلاقية والتعبدية

(١) أصول التربية الإسلامية، ص٣٥١.

وغيرها، ومن الأهداف التي يمكن تحقيقها من الرحلات هو أن تكون مجالاً لزيادة فهم الطلاب للقرآن الكريم، وذلك من خلال ربط الآيات بالحياة الطبيعية وما فيها من مخلوقات عظيمة، وإبراز قدرة الله سبحانه وتعالى في هذا الكون، وفي ذلك استجابةٌ للدعوة القرآنية للنظر في الكون، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩].

يقول أحد المربين: «إن السير في الأرض يفتح العين والقلب على المشاهد الجديدة التي لم تألفها العين، ولم يمليها القلب، وإن الإنسان ليعيش في المكان الذي ألفه فلا يكاد ينتبه إلى شيء من مشاهده أو عجائبه، حتى إذا سافر وتنقل وساح، استيقظ حسه وقلبه إلى كل مشهد، وإلى كل مظهر في الأرض الجديدة مما كان يمر على مثله أو أروع منه في موطنه دون التفات ولا انتباه، وربما عاد إلى موطنه بحس جديد، وروح جديدة ليبحث ويتأمل ويعجب بما لم يكن يهتم به قبل سفره وغيبته، وعادت مشاهد موطنه وعجائبها تنطق له بعد ما كان غافلاً عن حديثها، أو كانت لا تفصح له عن شيء ولا تناجيه»(١).

وبالتدبر يجد القارئ أنه ما من سورة في القرآن إلا وأشارت إلى بعض دلائل قدرة الله في الآفاق والأنفس، وعلى المربي، أثناء الرحلة التربوية، أن يوجه أنظار المتعلمين وفكرهم إليها، ومن الأمثلة على ذلك:

- استعراض الآيات التي تدل على قدرة الله تعالى في خلق الأرض وما فيها من الجبال والرمال.

---

(١) الرحلات والمخيمات وأثرها الدعوي والتعليمي والتربوي، ص١٠٦.

- استعراض الآيات التي تدل على قدرة الله تعالى في خلق السماء والنجوم والكواكب.
- استعراض الآيات التي تدل على قدرة الله تعالى في خلق النبات والشجر بأنواعه الكثيرة.
- استعراض الآيات التي تدل على قدرة الله تعالى في خلق البحار والأنهار والمصادر المائية بصفة عامة.
- استعراض الآيات التي تدل على قدرة الله تعالى في خلق الحيوانات والطيور.

المرحلة الوسطى

مرحلة الممارسة العملية

هذه المرحلة تقع بين المرحلة الأولى والمرحلة المتقدمة، والوسائل في هذه المرحلة أكثر عمقاً من وسائل المرحلة الأولى، وتركز على جوانب مهارية يحتاجها راغبو التدبر، ويؤكد عليها معلمو التدبر. وأفراد هذه المرحلة غالباً ما يكونون قد تجاوزوا مرحلة الطفولة، وقاربوا سن التكليف أو تجاوزوها.

ومن أهداف هذه المرحلة:

- ربط السيرة النبوية بالتدبر.
- الممارسة العملية لتدبر القرآن أثناء القراءة.
- استظهار ما في السيرة من تطبيقات نبوية للقرآن الكريم.

ومن الوسائل في هذه المرحلة:

أولاً ـ استخدام أسلوب التكرار

استخدم القرآن الكريم أسلوب التكرار في كثير من المواضع، فمن مميزات القرآن تكرار القصص والأحكام، وتكرار أحوال أهل الجنة وأهل النار، وتكرار الوعد والوعيد، والهدى والضلال، وغيرها من التوجيهات والإرشادات، ويعاد ذكرها في أكثر من موضع من كتاب الله، ومع هذا التكرار إلا أن القارئ المتدبر يشعر في كل مرة بتغير الأسلوب، ويحس بتنوع

العبارات، وتغير المواقف والأحداث، إضافةً إلى زيادة معلومات لم تكن ذُكرت من قبل. ولذلك فكلما قرأ في كتاب الله، وكرر قراءة الآيات لا يحس بالسآمة أو الملل، ويشعر بالجِدة والتشويق. يقول ابن سعدي: «أنه تعالى لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزكية للقلوب، المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب بمنزلة الماء لسقي الأشجار، فكما أن الأشجار كلما بعُد عهدها بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت، وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائماً إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مرةً واحدةً في جميع القرآن، لم يقع منه موقعاً، ولم تحصل النتيجة منه... وهكذا ينبغي للقارئ للقرآن، المتدبر لمعانيه، أن لا يدع التدبر في جميع المواضع منه، فإنه يحصل له بسبب ذلك خير كثير، ونفع غزير»(١).

ويعد التكرار من الأساليب التربوية المهمة لتثبيت المعلومات، وزيادة استيعاب الدارسين لها، وهو من الطرق المهمة في العملية التربوية، وقد مارسه النبي ﷺ في تربية أصحابه. ولكن في موضوع التدبر، يقصد بالتكرار هنا هو ما يقوم به المتربي نفسه، من حيث ترديد الآيات وقراءتها المرة بعد الأخرى في المجلس الواحد.

وقد تواترت أفعال السلف وأقوالهم في استخدام هذا الأسلوب، وحرصهم عليه، والحث على ملازمته، وقائدهم في ذلك رسول الله ﷺ. روى أبو ذر رضي الله عنه قال: (قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، رواه النسائي برقم ١٠٠٩، وحسنه الألباني.

وعن عباد بن حمزة قال: (دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، قال: فوقفت عليها، فجعلت تستعيذ

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٧٢٣.

وتدعو، قال عباد: فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي فيها بعد تستعيذ وتدعو)[١].

وقام تميم الداري رضي الله عنه بآية حتى أصبح: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١][٢].

وردد الحسن البصري ليلةً: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]، حتى أصبح، فقيل له في ذلك فقال: «إن فيها معتبرا، ما نرفع طرفاً ولا نرده إلا وقع على نعمة، وما لا نعلمه من نعم الله أكثر»[٣].

وعن القاسم بن أبي أيوب «أن سعيد بن جبير ردد هذه الآية: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، بضعاً وعشرين مرة»[٤].

وفي المداومة على تكرار الآيات فوائد تربوية، هي:

أ ـ اتباع منهج السلف في التعامل مع القرآن الكريم، وكل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف، وتكرار الآيات ليس بدعاً من القول والفعل، بل هو أمر محمود، وله فوائد إيمانية وتربوية، وقد أكد ابن القيم رحمه الله أن «هذه عادة السلف، يردد أحدهم الآية إلى الصبح»[٥]. وقد ثبت هذا الصنيع من أقوالهم وأفعالهم، وتواتر عنهم في سِيَرِهم وأخبارهم، قال الإمام النووي رحمه الله: «وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم الآية الواحدة ليلةً كاملةً أو معظمها يتدبرها عند

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ج٧ ص٢٥.
(٢) مختصر منهاج القاصدين، ص٦٨.
(٣) مختصر قيام الليل، ص١٥١.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة، ج٧ ص٢٠٣.
(٥) مفتاح دار السعادة، ج١ ص٢٢٢.

القراءة»[١]. وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله: «لأن أقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]، و﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١]، أرددهما وأتفكر فيهما أحب من أبيت أهذ القرآن»[٢]. فمن أراد طريق النجاة فليقتد بأولئك الصحب الكرام، ومن أراد أن يستن ويقتديَ فليستن بالذين قد ماتوا، فإن الأحياء لا تؤمن عليهم الفتنة.

ب ـ إن التكرار في تلاوة الآيات يزيد التدبر والفهم لكلام الله، ومن غفل عن الفكرة المقصودة في المرة الأولى، ينتبه لها في المرة الثانية أو الثالثة أو التي تليها، وإذا لم يفهم المعنى المقصود للآية يكررها عدة مرات، ويقف عند بعض مقاطعها، ويكرر ذلك مرات حتى يستوعب المعنى المراد أو بعضه، يقول ابن قدامة: «وليعلم أن ما يقرأه ليس كلام بشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه، ويتدبر كلامه، فإن التدبر هو المقصود من القراءة، وإن لم يحصل التدبر إلا بترديد الآية فليرددها»[٣].ومن استشعر أن الذي يخاطبه هو العظيم جلت قدرته، تفتحت عنده منافذ الإصغاء والفهم والاستيعاب.

جـ ـ شفاء القلوب، وحصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن، وذلك لأن التكرار يقوم بإزالة الغفلة التي ترين على القلوب، وهو كالماسحة التي تنظف الأماكن المتسخة، فإذا زال الران شُفِي القلب من أمراض الشهوات والشبهات، وإذا أصبح خالياً من كل شهوة وشبهة، استعد لقبول الأوامر والنواهي فحصل الإيمان وتذوق حلاوته، يقول ابن القيم رحمه الله: «فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى إذا مر بآية وهو يحتاج إليها في شفاء قلبه، كررها ولو مائة مرة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من

(١) الأذكار، ص٥.
(٢) الزهد، ص٩٧.
(٣) مختصر منهاج القاصدين، ص٦٨.

قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن»[(١)].

د ـ تحصيل الفتوحات الربانية والمعاني الإيمانية الجديدة، فكلما قرأ الآيات وتوقف عند بعض مقاطعها متأملاً ومتفكراً، ظهر له من حقائق القرآن وعجائبه ما كان غافلاً عنه، يقول ابن عثيمين رحمه الله مفسراً قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الطارق: ١٤]: «أي ما هو باللعب والعبث واللغو، بل هو حق، كلماته كلها حق، أخباره صدق، وأحكامه عدل، وتلاوته أجر، لو تلاه الإنسان كل أوانه، لم يملّ منه، وإذا تلاه بتدبر وتفكر فتح الله عليه من المعاني ما لم يكن عنده من قبل، وهذا شيء مشاهد، اقرأ القرآن وتدبره، كلما قرأته وتدبرته حصل لك من معانيه ما لم يكن يحصل لك من قبل، كل هذا لأنه فصل وليس بالهزل، لكن الكلام اللغو من كلام الناس كلما كررته مججته، وكرهته، ومللته، أما كتاب الله فلا»[(٢)].

ولكي يؤتي أسلوب التكرار ثماره، ينبه بعض المفكرين على عدد من القضايا النفسية المهمة، يقول يحي الغوثاني: «أثناء عملية الإعادة والتكرار، حذار أن تشتت نظرك فيما حولك من الأشياء، كاللوحات الخطية المتناثرة في الجدران، والملصقات، والتحف والزخارف الفنية، ولا تتابع مروحة الهواء وهي تدور، ولا تهتم بنوعية الأثاث أو الفراش الذي تجلس عليه، وحذار من فضول النظر إلى ما وراء النوافذ، فربما تقع عينك على ما لا يسر، وربما يستهويك مشهد الناس في الشارع، ومشهد السيارات، كما يحصل للطلاب أثناء مذاكراتهم لاختباراتهم»[(٣)].

---

(١) مفتاح دار السعادة، ص٢٢١.
(٢) تفسير القرآن العظيم، جزء عم، ص١٥٢.
(٣) كيف تحفظ القرآن الكريم، ص٨٧.

فإن تجاوب المتربي مع هذه الملهيات، لم تحصل الفائدة المرجوة من التكرار، وتغير الهدف منه، فبعد أن كان للتدبر تحول إلى تكرار لحفظ الآيات فقط، أو لمضاعفة الحسنات فقط.

ثانياً ـ استخدام أسلوب ضرب الأمثال

يستخدم أسلوب ضرب الأمثال لتوضيح الموصوفات المادية والمعاني المجردة، ومقارنتها بما يشبهها في الحال أو في المآل، وما يناسبها في القبح والحسن، وإيصال المعاني إلى القلوب بأيسر الطرق. واستخدام هذا الأسلوب يحتاج من المربي إلى فطنة وحسن بيان، ويلزم منه أن يكون المتربي على قدر من الوعي والانتباه.

ويمكن تشبيه عملية التدبر باستخدام الدواء. فالمتعلم الذي يقرأ القرآن بدون تفهم لمعناه، وعمل بمقتضاه، مثله كمثل المريض الذي يمسك بقارورة الدواء، ويقرأ ما فيها من إرشادات، وربما يستمع إلى توجيهات الطبيب في كيفية الاستفادة من هذا الدواء، وبعد ذلك تجده يضع القارورة جانباً وينظر إليها، منتظراً الشفاء من مرضه، وبهذه الطريقة لن يتحقق الشفاء إلا أن يشاء الله. وهكذا الحال مع كثير من المتعلمين الذين يؤمنون بأن القرآن هو الكتاب الحق والمنهج الصواب، ولكنهم يكتفون بقراءته، من غير تعديل لتصرفاتهم أو تصحيح لسلوكهم.

ويحسن بالمربي أن يستخدم أسلوب ضرب الأمثال لتبيين أهمية الترتيل والتغني بالقرآن، كما فعل ابن القيم رحمه الله في قوله: «ولأن تزيينه، وتحسين الصوت به، والتطريب بقراءته أوقع في النفوس، وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه، ففيه تنفيذ للفظه إلى الأسماع، ومعانيه إلى القلوب، وذلك عون على المقصود، وهو بمنزلة الحلاوة التي تُجعل في الدواء لتنفذه إلى موضع الداء، وبمنزلة الأفاوية والطِّيب الذي يُجعل في الطعام، لتكون الطبيعة أدعى له قبولاً... ولا بد للنفس من طرب واشتياق إلى الغناء،

فعُوِّضت عن طرب الغناء بطرب القرآن، كما عُوِّضت عن كل محرم ومكروه بما هو خير لها منه»[١].

وقد وردت الأمثال في كتاب الله في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

والمربي يستخدم الأمثال القرآنية لزيادة تدبر المتعلمين للقرآن، ويستحثهم بها لفهم معانيه، ولا بد أن يقرأها مع المتعلمين، ويشرحها ويوضحها لهم، ولهذا الأسلوب فوائد كثيرة تساعد على التدبر، يقول الزركشي: «وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير والوعظ، والحث والزجر، والاعتبار والتقرير، وترتيب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، بحيث تكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس»[٢].

ويبين القرآن أن أسلوب ضرب المثل يستدعي من المربين والمتربين أن يزدادوا في العلم كي يستطيعوا فهم المثل واستيعاب المراد منه، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، «أي وما يفهمها ويتدبرها إلى الراسخون في العلم المتضلعون منه»[٣]، فالأمثال القرآنية من مجالات التدبر التي تحث المتربين على بذل الجهد لاستحضار معانيها ومعرفة المقصود منها، وإن لم يستطع بلوغ هذه المرحلة فهو نقص في شخصيته ينبغي أن يسعى لتكميله بشتى الوسائل.

ثالثاً ـ التعريف بأسماء الله الحسنى

يحتاج المتربون في هذه المرحلة إلى تقوية الجوانب الروحية والإيمانية،

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ج١ ص٤٨٩.
(٢) البرهان، ج١ ص٤٨٦.
(٣) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص١٠٤١.

ومن ضمن الوسائل تربيتهم على التعبد بأسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة. وقد بين القرآن أهميتها في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ويشتمل القرآن الكريم على الكثير من أسماء الله وصفاته، ولا تكاد تخلو آية أو سورة من الإشارة إلى تلك الأسماء والصفات، «والقرآن فيه من أسماء الله وصفاته أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة. والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظم قدراً من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك، وأفضل سورة سورة أم القرآن... وفيها من ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيها من ذكر المعاد»[(١)].

فالتربية المثلى تستلزم أن يقف المتربي مع أسماء الله الحسنى الواردة في الآيات، كالسميع والبصير، والغفور والرحيم، والسلام والمؤمن، والعليم والحكيم وغيرها من الأسماء، ثم يتأمل في معناها، ومدى التزامه بمدلولاتها، وإن لم يكن عارفاً لمعناها فليعد على نفسه باللوم، لأنه يريد من خالقه أن يحبه ويعطيه، ثم هو لا يعرف معاني أسمائه. والله سبحانه يحب من عبده أن يقتبس من أسمائه الحسنى ما يتعبد به سبحانه، فمن اسمه (الصبور) يتحلى بخلق الصبر، ومن اسمه (الرحيم) يتحلى بخلق الرحمة، فمعرفة المدلولات تجلب للمتربي حسن التعبد لخالقه، وبالتالي محبة خالقه سبحانه وتعالى له.

وإذا عرف معناها استطاع أن يسأل الله في كل مطلوب باسم يناسب المطلوب ويقتضيه، فحين يطلب من ربه الرحمة والمغفرة يدعوه باسمي (الغفور الرحيم)، وحين يطلب الإعانة والمساعدة يدعوه باسم (المعين)، وحين يطلب الرزق يسأله باسم (الرازق) أو (الرزاق)، وحين يطلب النصر على الأعداء يسأله باسم (النصير)، و(المقتدر)، و(القوي)، وهكذا.

---

(١) المنهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ج١ ص٧.

والتعرف على أسماء الله الحسنى، وحفظها عن ظهر قلب، من دلائل العبودية للخالق، ويجعل القلب دائم الاستحضار لها. كما أن التفكر في معناها، والتأمل في سياق الآيات التي وردت فيها مما يزيد الإيمان في القلب، ويدفع للعمل بمقتضى تلك الآيات، والائتمار بما تحث عليه والازدجار عما تنهى عنه.

ومن واجب المربي أن يبين لطلابه مدلولات تلك الأسماء، كلما وردت في التلاوة القرآنية، وأن يبين لهم ما ينبغي أن تحدثه من أثر في قلوبهم، «فالأسماء الدالة على العظمة والكبرياء تملأ القلب تعظيماً وإجلالاً لله، والأسماء الدالة على الرحمة والفضل والإحسان تملأ القلب طمعاً في فضل الله ورجائه ورحمته، والأسماء الدالة على الود والحب والكمال تملأ القلب محبةً ووداً وتألهاً وإنابةً إلى الله تعالى، والأسماء الدالة على سعة علمه ولطيف خبره، توجب مراقبة الله والخوف منه، وهذه الأحوال التي تتصف بها القلوب هي أكمل الأحوال وأجل الأوصاف، ولا يزال العبد يجاهد نفسه عليها حتى تنجذب نفسه وروحه بدواعيه، منقادةً راغبةً، وبهذه الأعمال القلبية تكمل الأعمال البدنية»(١).

ومن التدبر في الأسماء الحسنى أن ينبه المربي إلى اقتران بعض الأسماء مع غيرها، وما في ذلك من معانٍ جليلةٍ، واستنباطات بديعة، تساهم في تدبر كلام الله، وتؤكد المرادات التي يريدها المولى من عباده. ومن الأسماء التي يكثر اقترانها في كتاب الله ما يلي:

(العزيز الغفار)، و(السميع البصير)، و(الغفور الرحيم)، و(العليم الحكيم)، و(الغني الحميد)، و(الواسع العليم)، و(الكبير المتعال)، و(الحي القيوم)، و(الواحد القهار)، و(اللطيف الخبير)، و(المبدي المعيد)، وغيرها من الأسماء.

---

(١) التأويل في دعاء التنزيل، ص١٦٧.

ولتعليم التدبر يراجع المربي مع طلابه تلك الأسماء بين الفينة والأخرى، ويذكِّرهم بمعانيها، كي تبقى حيةً في نفوسهم على الدوام. أما في الأسماء المقترنة فيُذكِّر بمعنى كل اسم على انفراد، ثم يبين ما في الاقتران من دلالات مرتبطة بالآية التي وردت فيها، من أجل إمعان النظر وزيادة التفكر، والاستعانة في ذلك بكتب التفسير واللغة.

رابعاً ـ ربط الآيات بالسيرة النبوية

جاء الرسول ﷺ ليبين القرآن بأقواله وأفعاله وتقريراته، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فدراسة سيرة الرسول ﷺ توضح كثيراً من الآيات والسور القرآنية. وفي المراحل المتوسطة من تعليم التدبر، يحسن عرض السيرة النبوية وأحداثها مرتبطةً بالآيات لكي يتعمق فهمها في نفوس المتعلمين، والمرجع في الأحداث النبوية هو ما ثبت من سيرته ﷺ، وما صح من سنته ﷺ.

وتمتاز هذه المرحلة التعليمية بتفاعل المتربي مع الأحداث، وقد يتقمص شخصيات أصحابها، فإذا ما كانت الشخصيات مرغوبة تربوياً، ساعد ذلك على بث المفاهيم والقيم بأقصر الطرق وأسهلها.

ومما يرتبط بدراسة السيرة معرفة أسباب النزول، ورغم أن هذا المبحث من القضايا المهمة في علوم القرآن، إلا أن ارتباطه بسيرة الرسول ﷺ يجلي الآيات القرآنية ذات العلاقة بالسيرة النبوية. وحين يتعرف المتعلمون على المناسبات والوقائع التي نزلت الآيات لمعالجتها وحل الإشكالات التي وقع فيها الصحابة رضوان الله عليهم، الذين عايشوا تنزل القرآن بأرواحهم وأجسامهم، يؤدي ذلك إلى زيادة الفهم والتدبر، «ولئن كانت هناك أسباب خاصة لنزول بعض الآيات والسور ويلزم معرفتها لمعرفة دلائل الآيات ومقاصدها، فإن معرفة حالة الدعوة عند نزول الآيات هو سبب النزول العام الذي ينبغي أن يُستحضر كما يستحضر السبب الخاص، من أجل تدبر أمثل

لمقاصد الآيات وحكمها وأحكامها، فإن تصور حال الدعوة حين نزول الآيات هو المقصود الأهم في معرفة أسباب النزول، ومعرفة أن الآيات مكية أو مدنية»[(١)].

ويبين المربي في درس السيرة أن هناك سوراً مخصوصة مرتبطة ببعض الغزوات، ويلفت انتباه الطلاب إليها، ويجعلهم يرجعون إليها، وإلى تفاسيرها للتدبر في تلك الآيات المرتبطة بأحداث الغزوات. فسورة آل عمران نزلت بعض آياتها تعقيباً على غزوة أحد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [١٥٢ ـ ١٥٥].

وكذلك فإن سورة الأنفال بينت بعض أحداث غزوة بدر، وغزوة حنين ذُكرت بعض مواقفها في سورة التوبة، وأشارت سورة الأحزاب إلى غزوة الخندق.

---

(١) تدبر القرآن، ص١٠٠.

خامساً ـ الترغيب في قيام الليل

يميل الطلاب الأكثر وعياً إلى أفعال تتناسب مع مرحلتهم العمرية، ويمكن للمربي أن يحث طلابه في هذه المرحلة على قيام الليل لتحصيل التدبر، وهم أقدر من طلاب المرحلة السابقة على مجاهدة النفس للقيام، كما أنهم أكثر تفاعلاً وفهماً للآيات. وقد بين القرآن أن الذين يداومون على قيام الليل هم أصحاب العقول الناضجة، فقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]. فهم يؤدون الطاعات، ومنها صلاة الليل التي يدفعهم إليها الخوف من العذاب، والتطلع لدرجات الجنان.

وقد أمر المولى سبحانه وتعالى رسوله الأمين (بقيام الليل فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٣]. ثم بين سبحانه وتعالى أن القيام بعد النوم، للتلاوة والصلاة، أكثر نشاطاً للذهن، وفيه يتوافق السمع مع القلب لتفهم القرآن وتبين معانيه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «قوله (أقوم قيلا) هو أجدر أن يفقه القرآن»، رواه أبو داود برقم ١٣٠٤ وحسنه الألباني.

وقال ابن حجر: «المقصود من التلاوة الحضور والفهم، لأن الليل مظنة ذلك، لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية»(١).

وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ بهذه العبادة العظيمة، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

ولا بد أن يستشعر المتربون أهمية المحافظة على تلاوة القرآن وقيام الليل، وعدم التهاون في ذلك قدر الإمكان، فيكونوا بذلك من أهل الاستقامة

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٩ ص٤٥.

والثبات على الحق كما قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].

وذكر يحيى الغوثاني أن للقراءة الليلية، سواءً كانت قبل النوم مباشرةً، أو كانت في صلاة التهجد بعد المنام، آثارٌ نفسية ملموسة، وذلك «لأن العقل الباطن لا بد وأن يعمل، والقضايا التي يجول فيها، أو تجول فيه، هي القضايا اليومية التي يعاني منها الإنسان في يومه، وعلى وجه الخصوص آخر النهار، وقبل النوم، فالعقل الباطن يعمل طول الليل بآخر قضيةٍ شغلته، فيبقى يردد الآيات التي خزّنها قبل النوم في الذاكرة»(١)، وبقاء أثر الآيات في الذهن يقوي الشعور بالمراقبة، وحسن التعبد لله.

ولكي يتحقق التدبر والتفهم للقراءة الليلية، ينبغي أن يكون المتعلم في حالة ذهنية واعية، وألا يصلي وهو شديد التعب أو الإعياء حتى لا يحدث ما لا يُحمد عقباه، كأن يسب نفسه، أو يدعو على أهله وولده، يقول ﷺ: (إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع) رواه مسلم برقم ٧٨٧.

ومن لم يستطع القراءة والصلاة في الليل لعذر شرعي، فعليه بالتعويض في الفترة الصباحية، وقد أرشد ﷺ إلى ذلك بقوله: (من نام عن حزبه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنما قرأه من الليل) رواه مسلم برقم ٧٤٧.

ويستخدم المربي الأساليب التحفيزية المختلفة للحث على تلاوة القرآن وقيام الليل، ومنها:

١ ـ الأسلوب النظري، وذلك ببيان الفضائل الواردة في ذلك ومنها:

أ ـ شفاعة القرآن لصاحبه يوم القيامة، فالحرص على أداء صلاة الليل

---

(١) كيف تحفظ القرآن الكريم، ص٩٨.

وقراءة القرآن يدفعه لترك النوم، يقول الرسول ﷺ: (فيقول القرآن منعته النوم بالليل) رواه الترمذي برقم ٢٠١ وصححه الألباني.

ب ـ المرتبة العالية والدرجات الرفيعة، لقوله ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار. ..) رواه مسلم برقم ٨١٥.

٢ ـ الأسلوب العملي، وذلك بعدة طرق هي:

أ ـ مرافقة المعلم لطلابه، والأب لأولاده، لأداء صلاة التراويح مثلاً في رمضان.

ب ـ أداء الصلاة الليلية أمامهم، وخاصةً في الرحلات والأنشطة اللاصفية، وينبه إلى أن الأصل في العبادة أن تكون خالصةً لله، ولكن لا يمنع ذلك من أن يراه الطلاب فيقتدون به.

جـ ـ التعاون لأداء الصلاة الجماعية التي يشترك الجميع في فعلها، ويُنشِّط بعضهم بعضاً لأدائها.

سادساً ـ إبراز القدوات والنماذج (للمتدبرين)

يُعد أسلوب القدوة من أهم أساليب التربية، وأكثرها مضاءً وفعاليةً، وما ذلك إلا أن التأثر بالأفعال والأحوال أشد وقعاً من الكلمات والألفاظ، ولأن الإنسان يتأثر ببني جنسه تأثراً كبيراً. وقد أشار القرآن إلى هذه النظرية التربوية في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩]. يقول ابن كثير رحمه الله: «أي لا يستطيعون أن يروا الملَك في صورته إلا بعد التجسم بالأجسام الكثيفة، لأن كل جنس يأنس بجنسه وينفر من غير جنسه، فلو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملَكاً لنفروا من مقاربته، ولما أنسوا به، ولداخلهم من الرعب من كلامه والاتقاء له ما يكفهم عن كلامه، ويمنعهم عن سؤاله، فلا تعُمّ المصلحة، ولو نقله عن صورة الملائكة

إلى مثل صورتهم ليأنسوا به وليسكنوا إليه لقالوا: لست ملكاً وإنما أنت بشر فلا نؤمن بك، وعادوا إلى مثل حالهم»(١).

ويحسن بالمربي أن يذكر مواقف التدبر، ويسرد نماذج للمتدبرين، لأن فيها تحريكاً للقلوب الغافلة، وإيقاظاً للعواطف والانفعالات الوجدانية، وتحفيزاً للتمسك بهذه القيمة التربوية (التدبر).

إن المعلم الذي يصلح قدوةً للتدبر، ينبغي أن يتصف بالمفاهيم والقيم والمبادئ التي يدعو إليها القرآن، خاصةً في تعامله مع طلابه، وإقباله عليهم. ويلزم أن يرى المتعلمون أستاذهم وهو يحسن تلاوة القرآن الكريم، فيخشع عند القراءة والاستماع، ويشعروا من معلمهم التوقير والاحترام لكتاب الله العظيم.

ومن مظاهر غرس قيمة التدبر لدى الناشئة: إبراز النماذج المؤثرة التي تدفع للاقتداء وتحث على الإتساء، ولا يكتفي الأسلوب التربوي بذكر تلك النماذج المضيئة فحسب، ولكن يظهر من خلال سيرهم وترجماتهم أثر ذلك التدبر في تنشئتهم الاجتماعية، وأخلاقهم العملية، وعبادتهم الربانية. وتعريف المتربين بهذه الجوانب يبين بوضوح إمكانية تطبيق منهج التدبر في تعاملهم مع القرآن وآياته، ويبين أهمية ذلك في تعديل السلوك. قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ومن النماذج العملية من حياة سلف الأمة:

أ ـ حياة الرسول ﷺ

لقد كان وجود الرسول ﷺ بين ظهراني المسلمين، يتلقون عنه، ويأخذون من سمته وهديه ودله، ومنهجه في التعامل مع القرآن، أكبر دافع لهم للثبات والاستمرار «ولم يعرف التاريخ، ولن يعرف قدوةً أسمى، ولا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج٢ ص١٢٠.

أسوةً أعلى، ولا إمامةً أسنى، من محمد ﷺ، في كافة مناحي الكمال البشري، خصوصاً خلقه الرضي، وأدبه السني، ولا سيما صدقه، وأمانته، وتحريه ودقته»[١]. ومن مجالات الاقتداء في حياة الرسول ﷺ ما ورد في تدبره للقرآن الكريم.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قام النبي ﷺ بآية يرددها حتى أصبح، والآية ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]»، رواه ابن ماجه برقم ١٣٥٠.

ومنها ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن أعجب شيء رأته من رسول الله ﷺ، قالت: لما كانت ليلة من الليالي قال (يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي) قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حِجره، ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال يا رسول الله: لم تبك وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: (أفلا أكون عبداً شكوراً، لقد أنزلت عليّ الليلة آية، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها) رواه البخاري برقم ١١٣٠.

والذي نزل في تلك الليلة، وجعل رسول الله ﷺ يبكي تأثراً بها هو خواتيم سورة آل عمران، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١].

ب ـ حياة الصحابة رضوان الله عليهم

إن سيَر الصحابة رضوان الله عليهم مليئةٌ بالمواقف التربوية في شتى المجالات، ومنها التدبر لكتاب الله، ومن النماذج التي يحسن عرضها على

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، ج١ ص٣٢٧.

المتربين ما يتعلق بحياة الخلفاء الراشدين، الذين رضي الله عنهم، وبشرهم رسول الله ﷺ بالجنة قبل انتقالهم إلى حياة البرزخ والدار الآخرة.

عندما دخل أبو بكر رضي الله عنه في حماية ابن الدغنة قالت عائشة رضي الله عنها: «ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيتقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش» رواه البخاري برقم ٣٩٠٥. وفي حديث: «إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه» رواه مسلم برقم ٤١٨.

ولما قدم أهل اليمن زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وسمعوا القرآن جعلوا يبكون، قال أبو بكر: «هكذا كنا»[(١)]. ولا شك أن الصحابة الذين عايشوا تنزل القرآن هم أكثر الناس فهماً لمراداته، ولذا كان تأثرهم به كبيرا.

وأما عمر الفاروق رضي الله عنه فقد ورد أنه خرج يعس في المدينة ذات ليلة، فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائماً يصلي، فوقف يستمع قراءته، فقرأ (والطور وكتاب مسطور) حتى إذا بلغ (إن عذاب ربك لواقع. ماله من دافع)، قال: قسمٌ ورب الكعبة حق، فنزل من حماره، فاستند إلى حائط، فمكث ملياً، ثم رجع إلى منزله، فمكث شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه[(٢)].

ومن أخباره العجيبة في التدبر أنه «كان يمر بالآية في ورده، فتخنقه، فيبكي حتى يسقط، ثم يلزم بيته حتى يعاد، يحسبونه مريضاً»[(٣)].

ولا يعني هذا الموقف أن هذه هي المرة الأولى التي يستمع فيها عمر رضي الله عنه لسورة الطور، فقد يكون ممن سمعها من النبي ﷺ وهو يقرأ بها في

(١) حياة الصحابة، ج٣ ص١٧٣.
(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص١٣٢١.
(٣) حلية الأولياء، ج٥ ص٥١.

صلاة المغرب، وقد تكون من السور التي قرأها وهو يؤم المصلين في المسجد النبوي، ولكن هذا الموقف يشير إلى أحد خصائص القرآن، وهي أنه قد تظهر للقارىء المتدبر من المعاني والحِكم التي لم تكن ظاهرة في قراءاته السابقة لنفس الآيات، وبالتالي يكون لها من التأثير القلبي المتنوع بحسب الحالة النفسية والإيمانية التي يعيشها قارئ القرآن.

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: «كان أصحاب نبي الله ﷺ إذا قرئ عليهم القرآن كما نعتهم الله: تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم»(١).

ومن أخبارهم أيضاً ما حدث به أبو ذئب عن صالح قال: «كنت جاراً لابن عباس رضي الله عنهما، وكان يتهجد من الليل فيقرأ الآية ثم يسكت قدر ما حدثتك»، وذاك طويل، ثم يقرأ، قلت: لأي شيء فعل ذلك؟ قال: «من أجل التأويل يفكر فيه»(٢).

وتدبر الصحابة رضوان الله عليهم كان يدفعهم للعمل والبناء، وبهذه النظرة فتحوا البلدان وعمروها، «أسلوب قراءة الصحابة، يمكن صياغته بالمبدأ القرآني (أقرأ لكي أفهم، أفهم لكي أعمل)، وهذه القراءة هي التي تمكّن الإنسان من أن يعقل ما يقرأ، لكي يستطيع أن يعمل. لقد أدركوا أن هذا القرآن مفتاح للعمل والنهوض، فإذا استطاع المسلمون فهم منهاج القرآن، أدركوا سنن النهوض والقعود فنهضوا، وعندما يتنكرون لها يكون السقوط»(٣).

جـ ـ التابعون وسلف الأمة

روي عن إبراهيم الأشعث قال: «ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذَكر الله أو ذُكر عنده، أو سمع القرآن، ظهر به من

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج١٥ ص١٤٩.

(٢) مختصر قيام الليل، ص ١٤٩.

(٣) تعليم القرآن الكريم، ص٣٦.

الخوف والحزن، وفاضت عيناه، ويبكي حتى يرحمه من يحضره»[(١)]. وقال سفيان الثوري: «ليس في كتاب الله آية أشد عليّ من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨]، وإقامتها: فهمها والعمل بها»[(٢)].

ومن صور تدبر السلف لآيات القرآن، ما روي عن أبي العالية رحمه الله أنه كان إذا دخل عليه أصحابه يرحب بهم ويقرأ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وعنه أنه قال: «إن الله قضى على نفسه أن من آمن به هداه، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]. ومن توكل عليه كفاه، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطلاق]. ومن أقرضه جازاه، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. ومن استجار من عذابه أجاره، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. والاعتصام الثقة بالله. ومن دعاه أجابه، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]»[(٣)].

والقصص والنماذج في تدبر السلف للقرآن أكثر من أن تُحصى، ولعل المربي أن يكلف طلابه بأن يبحثوا في هذا الجانب، ويجمعوا ما يتعلق بتدبر الصحابة والتابعين أو غيرهم من علماء الأمة ومجدديها. وبعد هذا الجمع يقوم كل طالب بعرض ما تحصل عليه من نماذج ومواقف، ويتدارسوها مع أستاذهم، وفي هذا الأسلوب التربوي إذكاء روح المنافسة الشريفة بينهم.

(١) نزهة الفضلاء في تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢ ص ٦٦١.
(٢) البدع والحوادث، ص ١٠١.
(٣) مع القرآن وحملته في حياة السلف الصالح، ص٥٣.

سابعاً ـ استثمار الأحداث والمناسبات في تدبر الآيات

يستفيد المربي من الأحداث والوقائع التي تحدث في المجتمع فيربطها بالآيات القرآنية كلما كان ذلك ممكنا، وبدون أي تكلف أو تحريف للنصوص عن مضامينها.

وربط القرآن بالواقع له أثره في نفوس المتربين، ويزيل من أذهانهم الأفكار المنحرفة، التي تبعد القرآن عن الحياة، سواءً بتجاهله بالكلية، أو ظن استحالة تطبيقه في الأوقات المعاصرة، أو باعتقادهم أن القرآن يتكلم عن الأمم السابقة، ولا علاقة له بحياتهم التي يعيشونها. وينتقد ابن القيم هؤلاء وأمثالهم بقوله: «أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له، ويظنونه في نوعٍ، وفي قومٍ قد خلوا من قبل لم يعقبوا وارثاً، وهذا الذي يحول بين القلبِ وبين فهمِ القرآن، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم، أو شر منهم، أو دونهم، وتناوُل القرآن لهم كتناوله لأولئك»[(١)].

والقارئ في كتب تفسير القرآن، وشرح المفسرين لبعض الآيات، يرى أمثلةً كثيرةً لتنزيل الآيات على واقعهم الذي عاشوا فيه، وربط ذلك بالأحداث التي مرت عليهم، ولا شك أن لاستخدام الآيات في الحياة، وإنزالها على واقع المتعلمين آثارٌ تربويةٌ عظيمةٌ في فهم معنى الآية، وتغيير السلوك نحو الأفضل، وكذلك من آثاره «ربط المسلم المعاصر بكتاب الله، وإزالة الفجوة بينه وبين القرآن، فإذا شاهد المسلم تنزيل الآيات عند المفسرين على واقعهم، استفاد منها، وكانت له خير حافزٍ ومعينٍ على تنزيل الآيات على واقعه»[(٢)].

فإذا حدث في البيئة التعليمية أي أمر من الأمور، يبادر المربي إلى ربطه

---

(١) مدارج السالكين، ج١ ص٣٤٣.

(٢) تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، ص٨٢.

بآيات القرآن، ويلفت أنظار المتربين إليه. فإذا تهاون بعض المتعلمين بفعل المعاصي داخل البيئة التعليمية، يذكرهم المربي بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، ويحذرهم من الغش وارتكاب الأساليب المحرمة في تبادل المعلومات، ويبين لهم أوجه التعاون الممدوح والمذموم، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

وإذا نشرت الصحف ووسائل الإعلام وقوع أحد المجرمين في قبضة العدالة، وتنفيذ الحكم الشرعي في حقه، يتخذ المربي من هذه الحادثة مرتكزاً لتدبر قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

ولو حدثت مصيبة لأحد الطلاب، أو مات هو، أو مات أحد أقاربه، يذكر المعلم طلابه بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وإذا نُشر في المجتمع إعلانات ودعايات عن الاكتتاب في الأسهم والشركات المحرمة، أو التعامل ببعض المعاملات المالية الربوية، يبن المربي مفهوم قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وإذا أراد أفراد المجتمع جمع تبرعات لبناء مسجد أو مساعدة المتضررين من الكوارث، أو لغير ذلك من الأعمال الخيرية، يُذكر المربي بآيات فضل الإنفاق في سبيل الله، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

ويمكن للمربي قبل أن يذكر الآيات التي تلامس هذه الأحداث

والمواقف الاجتماعية، أن يسأل المتعلمين ويشجعهم على استحضار تلك الآيات للاستشهاد بها، ولا بأس أن يساعدهم بالسماح لهم باستخدام المصحف والنظر فيه، أو يذكر لهم اسم السورة للبحث فيها عن الآية، أو الآيات المناسبة.

ولكي تكون عملية التدبر محيطةً بالطالب في سائر اليوم الدراسي، لا ينبغي أن يكون استثمار الأحداث والمواقف خاصاً بمعلم القرآن أو معلم التربية الإسلامية، بل يلزم كل المعلمين المشاركة في ترسيخ مفهوم التدبر من خلال الموضوعات المقررة في المناهج الدراسية، كما يقوم واضعوا المناهج في البلاد الإسلامية بهذه المهمة.

ففي درس الجغرافيا مثلاً تُربط ظاهرة الخسوف والكسوف بقدرة الله عز وجل، وتحكمه سبحانه في الشمس والقمر، وجعلهما علامتين لليل والنهار، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

وكذلك الحال يمكن إيراد أمثلة أخرى وآيات مناسبة لها، في بقية المواد الدراسية.

فلا بد أن تُربط الآية بالواقع الدراسي أو الاجتماعي أو السلوكي للمتعلمين، ليتيقنوا أن هذا القرآن يدخل في جميع تفاصيل حياتهم، ويبين خالد اللاحم أهمية ذلك بقوله: «ربط الآية بالواقع أي تنزيل الآية على المواقف والأحوال اليومية التي تمر بالشخص، هو التمثل بالقرآن في كل حدث يحصل في اليوم والليلة، بحيث يبقى القرآن حياً في القلب، تؤخذ منه الإجابات والتفسيرات للحياة، وتؤخذ منه التوجيهات والأنظمة في كل صغيرة وكبيرة، وهذا الربط يُعرف عند علماء النفس بالاقتران الشرطي، ويعرف بالوقت الحاضر عند علماء البرمجة بالإرساء، وهو ما يعرف في القرآن والسنة

بالذكر أو التذكر، وهو يعني تداعي المعاني، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]»[١].

ثامناً ـ تعريف المتعلمين بكيفية التدبر وأحواله

إن طرق التدبر وأحواله هي الحجر الأساس في ملكة التدبر، وبدون معرفتها وتطبيقها، وممارستها عملياً، تصبح تلك المعلومات مجرد نظريات وأمنيات، ولذا فلا بد من تعريف المتربين بها كي يكونوا على درايةٍ عمليةٍ بها. وقد يعرف كثير من المتربين اليوم أهمية التدبر وضرورته، وأنه المقصود من تنزل القرآن على العباد، ولكن هذا لا يكفي ما لم يُتَوَّج بتعريفهم بأحوال التدبر وكيفيته. وعلى المربي أن يبين لطلابه كيف يحصل التدبر، وما هي أحواله، ومن هذه الأحوال:

١ ـ حال النبي ﷺ في تدبر القرآن

إن من أوليات التعريف بأحوال التدبر، أن يكون المتربون على درايةٍ بحال النبي ﷺ في تدبر القرآن. وقد كان رسولنا محمد ﷺ يتدبر في الآيات التي يقرؤها، ويظهر تأثره بها، وتفاعله معها، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد شبت! قال رسول الله ﷺ: (شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت) رواه الترمذي برقم ٣٢٩٧ وصححه الألباني برقم٨٢٧. وقد ورد[٢] أن الذي شيب رسول الله ﷺ من سورة هود: قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [هود: ١١٢].

كان النبي ﷺ متدبراً للقرآن قارئاً وسامعاً، ومن أمثلة تدبره وتجاوبه مع

---

(١) مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، ص٦٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج٩ ص٢.

الآيات: بكاؤه ﷺ عندما طلب من ابن مسعود أن يقرأ عليه، وبين العلماء أسباب بكائه، «قال ابن بطال: إنما بكى ﷺ عند تلاوته، لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة، وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بالتصديق، وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف، وهو يحق له طول البكاء.. وقال ابن حجر رحمه الله: والذي يظهر أنه بكى رحمةً لأمته، لأنه علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيماً، فقد يفضي إلى تعذيبهم»[١].

وكان الرسول المربي ﷺ يربي أصحابه على أخذ الآيات رويداً رويداً، وعدم الاستعجال في القراءة والحفظ، وذلك حتى يتدبروها تدبراً يدفعهم لفهم معناها والعمل بمقتضاها، روى أبو عبدالرحمن السلمي رحمه الله عن ثلاثة من كبار الصحابة: عثمان بن عفان، وابن مسعود، وأبي بن كعب رضي الله عنهم: «أن رسول الله ﷺ كان يقرئهم العشر، فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، قالوا: «فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً»[٢].

وكان الصحابة رضي الله عنهم يلتزمون بمنهج التدبر في الآيات التي يتعلمونها، ويُبنى هذا المنهج على ما يلي:

أ - القراءة المركزة لآيات محدودة لا تزيد عن العشر.

ب - معرفة أحكام الحلال والحرام في تلك الآيات.

جـ - العمل بمقتضياتها، وتنفيذها في واقع حياتهم.

د - حفظها عن ظهر قلب.

هـ - تكرار العمليات الأربع السابقة مع آيات جديدة.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٩ ص٩٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج١ ص٣٩.

٢ ـ التدبر بالتسبيح والذكر

ومن أحوال التدبر توجيه المتربين إلى إحياء سنة الرسول ﷺ أثناء التلاوة، حيث تكون القراءة مترسِّلةً متأنية، ويتجاوب مع الآيات أثناء القراءة، بالتسبيح والسؤال والتعوذ، حسب ورود ما يناسب ذلك من الآيات. روى أبو حذيفة رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت يركع عند المئة، ثم مضى، فقلت يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع . . . . الحديث»، رواه مسلم في الصلاة برقم ٧٧٢.

فقد قرأ ﷺ مئات الآيات في ليلة واحدة، بتأنٍ وحسن تفكر، وكان يتدبرها ويتجاوب معها بالذكر والتسبيح.

٣ ـ التدبر بالدعاء

من أحوال التدبر أن يدعو القارئ عند تلاوة القرآن بما ورد فيه من أدعية، من مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]. وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]. وقال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا

ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وغيرها من أدعية القرآن، حيث يقف القارئ عندها ويكررها، ويحفظها عن ظهر قلب، وربما يدعو بها في صلاته، أو في أوقات الإجابة. ويمكن للمربي أن يُكلف طلابه بجمع تلك الأدعية، وحفظها، ودراسة الأحوال والمواقف التي قيلت فيها.

ومن التدبر التأسي بالأنبياء عليهم السلام في دعائهم، وتضرعهم إلى ربهم، ومن فوائد ذلك أن يتذكر المتربي شيئاً من سيرتهم، ويتعرف على الأمور والحوائج التي سألوها ربهم، وقد يحتاج إلى الدعاء بها، أو أن يدل غيره عليها.

فقد دعا يونس عليه السلام حين كان مكروباً في بطن الحوت، قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. ودعا أيوب عليه السلام طالباً الشفاء من ربه، قال تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. ودعا زكريا عليه السلام حين طلب الولد، ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]. ودعا موسى عليه السلام بما يعينه في أمر دعوته: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٨].

٤ ـ استحضار الحزن والبكاء عند القراءة

ومن أحوال التدبر أن يكون القارئ مقبلاً على القراءة، متجاوباً مع المواعظ القرآنية، ومستحضراً الحزن والبكاء، وهذه الحالة النفسية تؤدي إلى التفاعل مع الآيات وتحصيل التدبر، قال تعالى: ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن

كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩].

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه حين قرأ على النبي ﷺ قال: (فإذا عيناه تذرفان)، رواه البخاري في فضائل القرآن برقم ٥٠٥٥.

فالبكاء طريق للخشوع والخضوع، وهو صفة المخبتين الأوابين عند قراءة القرآن، يقول ابن القيم رحمه الله: «وطريقه في تحصيله أن يحضر قلبه الحزن، بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد، والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في ذلك، فإن لم يحضره، حزن وبكى، ... فليبك على فقد ذلك، فإنه من أعظم المصائب»(١).

٥ ـ الإجابة على استفهامات القرآن

فقد ورد في كتاب الله أسئلةٌ واستفهاماتٌ كثيرة، ومن التدبر الإجابة على تلك الأسئلة والاستفهامات، ومن ذلك ما ورد «أن رجلاً كان يصلي فوق بيته، وكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، قال: سبحانك فبلى، فسألوه عن ذلك، فقال: سمعته من رسول الله ﷺ» رواه أبو داود برقم ٨٨٤ وصححه الألباني.

قال المناوي بعد أن ذكر الحديث: «لأنه قول بمنزلة السؤال، فيحتاج إلى الجواب، ومن الخطاب أن لا يترك المخاطب جوابه، فيكون السامع كهيئة الغافل، أو كمن لا يسمع إلا دعاء ونداء من الناعق به: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، فهذه هبةٌ سنية، ومن ثم ندبوا لمن مر بآية رحمة أن يسأل الله الرحمة، أو عذاب أن يتعوذ من النار»(٢).

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، ص٦٩.

(٢) فيض القدير، ج٥ ص١٥٦.

يقول حكمت ياسين: «لقد ورد في القرآن الكريم سؤالات كثيرة في قضايا خطيرة، وعلمنا الله تعالى كيف نجيب، وكذلك أرشدنا النبي ﷺ إلى تدبر هذه السؤالات، وماذا ينبغي أن نقول، وبماذا نجيب، وفي ذلك نحقق بعض الاستجابة المطلوبة منا، فقد أمرنا الله تعالى بالاستجابة له مطلقاً في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]»(١).

ومن الأجوبة القرآنية على أمثال تلك الأسئلة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]. ومنها قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الأنعام: ١٢].

٦ ـ التدبر بالقياس والمقارنة

وذلك بأن يستخدم أسلوب المقارنة مع الأحوال والأشخاص الذين يُذكرون في القرآن، سواءً في وصف عباد الله الصالحين، أو الكفرة والمنافقين والعاصين، ومن صور المقارنة ما يلي:

- عندما يقرأ أو يسمع آيات الجنة ونعيمها، يتذكر المتربي نعيمها مع قلة عمله وقلة طاعته، وقصوره فيها، فيحدث له التأثر والحسرة، وعندها يعزم على الجد والاجتهاد.

- أثناء القراءة يتذكر حال زملائه وبعض أصحابه، وجدهم واجتهادهم في أعمال البر والحسنات، وقربهم من تلك المنازل العليا في الآخرة، وهو بعيد عنهم وعنها.

- قد يسمع أو يقرأ آيات الأحكام (كالمواريث والقصاص والطلاق، أو صلاة

(١) منهج تدبر القرآن، ص٧١.

الخوف وأحكام الجهاد)، فيتذكر حكمة الله وعظمته، وهو مقصر في تعظيم الله وتقديره حق قدره.

ومن مفردات المنهج التدبري وأحواله ما ذكره ابن القيم(١) رحمه الله في أنواع البكاء فقال:

«الشهقة التي تعرض عند سماع القرآن أو غيره لها أسباب:

أحدها: أن يلوح له عند السماع درجة ليست له فيرتاح إليها، فتحدث له شهقة شوق.

ثانيها: أن يلوح له ذنب ارتكبه، فتحدث له شهقة خوف.

ثالثها: أن يلوح له نقص فيه لا يقدر على دفعه عنه، فيحدث له ذلك شهقة حزن وندم.

رابعها: أن يلوح له كمال صفات خالقه، ويرى الطريق إليه مسدوداً عنه، فيحدث له شهقة أسف وحسرة.

خامسها: أن يكون قد انشغل عن ربه، واشتغل بغير ذكره، فيُذكِّره القرآن ربه، فيلوح له جماله، ويرى بابه مفتوحاً، والطريق ظاهراً، فيحدث له شهقة فرح وسرور».

وتأكيداً لهذه الأحوال التدبرية، نورد أمثلةً قرآنية من كتاب الله عز وجل، تبين مضامينها.

فأما الحالة الأولى، أي حالة عدم الارتياح القلبي، لعدم بلوغ المتربي لمراتب عالية في الجنة، ذكرها الله في كتابه الكريم، ومثالها قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

---

(١) الفوائد، ص٢٥٤.

وأما الحالة الثانية، وهي حالة الاعتراف بالذنب ومقارفة الإثم التي يشير إليها القرآن في بعض آياته، ومثالها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

وأما الحالة الثالثة، كحالة الشعور بالتقصير، كمن يتهاون في المفروضات والواجبات، ومثالها قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢].

وأما الحالة الرابعة، كحالة التفكر في صفات الخالق سبحانه وأسمائه الحسنى، ومثالها قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

وأما الحالة الخامسة، أي حالة التفريط في جنب الله، وعدم القيام بالأوامر، مثالها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

المرحلة المتقدمة

مرحلة التدبر المتقَن

مقدمة

يتفاوت المتدبرون في الاستفادة من كتاب الله الكريم، بحسب تأملهم وتفهمهم للمعاني المستنبطة من الآيات، وبحسب ما يفتح الله عليهم من فتوحات وتأملات. ولا يمنع هذا التفاوت من وجود الحد الأدنى الذي يمكن أن يصل إليه المتعلمون، ولكن تحقيق مراتب أعلى من التدبر يستلزم تخصيص أوقات أكثر مع كتاب الله، وما يتعلق به من مجالات علمية تساعد في توضيح معانيه، وكشف مبهماته.

«والقرآن فيه إيجاز كثير، يدركه أهل التدبر العميق، والبصيرة النافذة، على أن القدر الذي يفهمه منه المتدبر السطحي كافٍ لهدايته، ولكنه لا يصل إلى ما يحتوي عليه من معان عميقة ودلالات دقيقة، وهذه المعاني والدلالات هي من المعاني الظاهرة لا الباطنة، إلا أن رؤيتها من الظاهر يحتاج إلى بصيرة كاشفة، ومقدار من الفهم واسع، وتأمل طويل»(١).

والمتعلمون في هذه المرحلة المتقدمة قد قطعوا شوطاً كبيراً في موضوع التدبر، وتحصلوا على الكثير من المعلومات والمهارات التي تعينهم على التدبر، فالأمر أكثر غزارةً ونضجاً. ولذلك فمن المهم جداً في هذه المرحلة أن يختم المتربي كتاباً واحداً في التفسير، على الأقل، ويطلع فيه على جميع

(١) قواعد التدبر الأمثل، ص٦٩.

الآيات مشروحةً ومبينةً، مع ضرورة التأكد من سلامة منهج المفسر، ويستشار في ذلك أهل التخصص. يقول عبيد الشعبي: «على المسلم أن يطلع على كتاب تفسير بكامله على القليل عدة مرات، صغيراً كان أو كبيراً، المهم أن ينسجم القارئ معه، ويفهم ما يقول، ويستحسن أسلوب كاتبه، مع الحذر من أن يكون فيه أخطاء عقدية، فبدلاً من أن ينتفع، يضل مع أخطاء المفسر العقدية والعلمية»(١).

ومن المناسب أن يقرأ المتعلم السورة مرتين أو ثلاثاً، ثم ينتقل للسورة التي تليها، فإن ذلك أدعى لأن يستوعب المعاني، وترسخ في الذهن.

ومراعاةً لأفراد هذه المرحلة، وإتقاناً للتدبر، فإن الأهداف كما يلي:

- التمكن من تفسير القرآن.
- التعريف بعلم الوقف والابتداء.
- زيادة الوعي بأهمية قراءة القرآن بتدبر.
- القدرة على استخراج الحكم واستنباط الأحكام.

أما الوسائل فهي كما يلي:

أولاً ـ تعليم قواعد التفسير.

ثانياً ـ تعليم أحكام الابتداء والوقف.

ثالثاً ـ التوجيه للتعمق في علوم اللغة العربية.

رابعاً ـ التدريب على استخراج الحكم واستنباط الأحكام.

خامساً ـ التربية على نشر (مفهوم التدبر والعلوم المستنبطة منه) في المجالس.

سادساً ـ تعليم مهارات التفكير.

---

(١) مع القرآن وحملته في حياة السلف الصالح، ص٥٧.

أولاً ـ تعليم قواعد التفسير

لا بد للطالب في هذه المرحلة المتقدمة أن يُلم بقواعد التفسير التي تعين على فهم الآيات واستنباط المعاني المعتبرة منها، ويُعرف خالد السبت قواعدَ التفسير بأنها: «الأحكام الكلية التي يُتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن الكريم، ومعرفة كيفية الاستفادة منها»[(١)].

يقول خالد السبت: «موضوع هذا العلم هو القرآن الكريم.. وغايته فهم معاني القرآن كي تُمتثل فيحصل الفوز في الدارين... وفائدته تحصيل المقدرة على استنباط معاني القرآن وفهمه على الوجه الصحيح، وضبط التفسير بقواعده الصحيحة»[(٢)].

ويمكن للمربي تعليم هذه القواعد من خلال الاطلاع المتكرر في كتب التفسير، أو من خلال الكتب المتخصصة في هذا الموضوع، أو حضور الدورات التي تُعقد أحياناً لدراسة علوم القرآن وأصول التفسير. فإذا ما استوعبها المربي شرحها لطلابه، وبين لهم بالأمثلة القرآنية المتعددة تأكيد هذه القواعد.

ولزيادة فهم الطلاب لقواعد التفسير، وللوصول إلى مرحلة التطبيق، عليه أن يكلفهم بالبحث في كتب التفسير عن أمثلة مشابهة لما تم شرحه في اللقاء القرآني، ويناقشهم فيما توصلوا إليه للتأكد من صحة استنباطهم، وبهذا التطبيق العملي يصل المتعلم إلى الفهم السريع والاستنباط الصحيح.

ثانياً ـ تعليم أحكام الابتداء والوقف

تتبين المعاني، ويُفهم الكلام إذا أحسن القارئ أو المتحدث توضيحه، وأحسن اختيار المواضع والمقاطع التي يكتمل عندها المعنى المقصود «فأما

(١) قواعد التفسير، ج١ ص٣٠.
(٢) قواعد التفسير، ج١ ص٣٩.

إن أخطأ الوقف الصحيح، فعمله مكروه مستقبح في الكلام الجاري بين الناس، وهو في كلام الله سبحانه أشد كراهةً وقبحاً، وتجنبه أولى وأحق، يقول الهذلي في كامله: الوقف حِلية التلاوة، وزينة القارئ، وبلاغ التالي، وفهم المستمع، وفخر العالم، وبه يعرف الفرق بين المعنيين المختلفين، والنقيضين المتنافيين، والحكمين المتغايرين. فلا بد لقارئ القرآن من تدبر معاني ما يقرأ حتى يعرف الأماكن التي يجوز فيها الوقف، والأماكن التي لا يجوز. وتدبر المعنى هو الأصل في الوقف والابتداء، فالمعاني هي المعتبرة، والأنفاس في تقطعاتها تابعةٌ للمعاني، فللكلام ـ بحسب المعنى ـ اتصال يقبح معه الوقف، وانفصال يحسن معه القطع»[(١)].

وقد اجتهد العلماء في وضع علامات الوقف والابتداء في المصحف العثماني، ويمتاز الرسم القرآني للمصاحف العثمانية بكثرة الرموز والعلامات التي توضح لقارئ القرآن المواضع التي يجوز الوقوف عندها أو لا يجوز، أو يستحب، بالإضافة إلى علامات الوقوف على رؤوس الآيات. والالتزام بهذه العلامات يساعد في حسن ترتيل وتجويد القرآن الكريم، وفي حسن الفهم والتدبر.

لكن تقسيم القرآن إلى أحزاب وأرباع وأنصاف وأجزاء، وهو من اجتهادات السلف رحمهم الله تعالى، قد يخرم هذه القاعدة، وقد يكون المعنى ناقصاً عند بداية الحزب، أو الوقوف على قصة غير مكتملة الأحداث، أو غير ذلك من الصور. وفي هذه الحالة يلزم تنبيه المتعلمين إلى أماكن الوقف والابتداء المناسبة، لأن «ذلك من المصلحة العظيمة بقراءة الكلام المتصل بعضه ببعض، والافتتاح بما فتح الله به السورة، والاختتام بما ختم الله به، وتكميل المقصود من كل سورة، ما ليس ذلك في التحزيب»[(٢)].

---

(١) حق التلاوة، ص٧٤.

(٢) الفتاوى، ابن تيمية، ج١٣ ص٤٠٥.

وهناك علاقة ارتباطية بين الوقوف عند القراءة وتدبر القرآن، فكلما أحسن القارئ معرفة أماكن الوقوف كلما كانت الآيات أقرب لفهم معانيها، ويؤكد عبدالعزيز القاري ذلك بقوله: «ومراعاة الوقوف عند القراءة أكبر معين على التدبر، ومعرفتها متوقفة على معرفة التفسير والإعراب، فحسب أوجه التفسير، أو أوجه الإعراب يختلف الوقف، ثم إذا تبصر المجود بهما وأتقن الوقوف فإنه يبرز المعاني ويجلِّي عن محاسنها، بل ويفسر الآيات بترتيله... ومما يساعد على معرفة الوقوف وإتقانها: مطالعة كتب التفسير، ومطالعة كتب إعراب القرآن، مثل (إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري)[١]، و(الدر المصون في إعراب الكتاب المكنون للسمين الحلبي) ومطالعة كتب الوقوف»[٢].

وقد تكون السورة طويلة أو ليست بالقصيرة، ولا يبدأ القارئ من أول السورة، وإنما يبدأ من الصفحة الثانية أو الثالثة منها، فيراعي ذلك، يقول النووي: «وينبغي للقارئ إذا بدأ من وسط السور، أو وقف على غير آخرها، أن يبتدئ من أول الكلام المرتبط بعضه ببعض، وأن يقف على الكلام المرتبط، ولا يتقيد بالأعشار والأجزاء، فإنها قد تكون في وسط الكلام، كالجزء الذي في قوله ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٢٤]، ولا يغتر بكثرة الفعالين له من القراء، الذين لا يرعون هذه الآداب، ولا يفكرون في هذه المعاني...، ولهذا المعنى قال العلماء: قراءة سورة قصيرة بكاملها أفضل من قراءة بعض سورة طويلة بقدر القصيرة، فإنه يخفى الارتباط على بعض الناس في بعض الأحوال»[٣].

وقد يضطر القارئ، لعارض يعرض له، أن يتوقف عن القراءة هنيهةً ثم يعود ويبتدئ القراءة، ويسترسل فيها. ورغم قصر هذه الوقفة، إلا أن مراعاتها يؤثر في تدبر القرآن، ولذا ينبغي التأكيد عليها، وتعليمها للمتربين.

(١) هناك اسم آخر للكتاب هو: التبيان في إعراب القرآن.
(٢) سنن القراء ومناهج المجودين، ص١٣٥.
(٣) المجموع شرح المهذب، النووي، ج٢ ص١٦٧.

وينبغي تنبيه المتعلمين إلى الآثار السلبية المترتبة على عدم مراعاة علم الوقف والابتداء، فقد يقع القارئ في أخطاء شرعية أو لغوية أو منطقية، يقول النحاس: «فينبغي لقارئ القرآن أن يتفهم ما يقرؤه، ويشغل قلبه به، ويتفقد القطع والائتناف، ويحرص على أن يُفهِم المستمعين في الصلاة وغيرها، وأن يكون وقفه عند كلام مستغنٍ أو شبهه، وأن يكون ابتداؤه حسناً، ولا يقف على الموتى في قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]، ولا أمثاله، لأن عدم الوقف ههنا قد أشرك بين السامعين والموتى، والموتى لا يسمعون ولا يستجيبون، وإنما أخبر عنهم أنهم يُبعثون»[١].

والوصول إلى إتقان الوقف والابتداء يحتاج إلى تأملٍ وانتباه، وإلى مرانٍ متكرر، ويحتاج أيضاً إلى بعض علوم الآلة المساعدة، يقول مساعد الطيار: «إن من العلوم المهمة لمن أراد أن يعرف الوقف والابتداء علم التفسير، وعلم النحو، وعلم القراءات، لأن المعنى يُعرف بها... وإذا تأملت هذه العلوم وجدتها ترجع إلى معرفة المعنى الذي هو أساس علم الوقف والابتداء»[٢].

إن مراعاة المتعلم للمواطن التي يقف فيها عند قراءة القرآن، يجعله حريصاً على التدبر أثناء القراءة، ويجنبه السرعة التي يُقصد من ورائها إنهاء السور والصفحات، وتحرمه من فهم المعاني وتدبر الآيات.

ومن مفردات تعليم الوقف والابتداء التي ينبغي تعليمها للأجيال ما يلي:

أ - الفرق بين الوقف والقطع والسكت، وكيفية الوقف الصحيح.

ب - أقسام الوقف: الاختياري - الاختباري - الانتظاري - الاضطراري - التعسفي[٣]. وهناك أنواع أخرى باعتبارات أخرى.

---

(١) القطع والائتناف، ص٩٧.
(٢) المحرر في علوم القرآن، ص ٢٦٧.
(٣) علم التجويد.. أحكام نظرية وملاحظات عملية تطبيقية، ص١١١ - ١١٩.

جـ ـ الآيات الواردة في وسط السور، ولها علاقة بما قبلها من الأجزاء كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٣]، وكقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٢٤]. وكذلك الأحزاب، كقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥]. وفي ذلك يقول النووي: «فكل هذا وشبهه، ينبغي ألا يُبتدأ به ولا يوقف عليه، فإنه متعلق بما قبله»[(١)].

فعلى المربي أن ينبه المتعلمين إلى أن من شروط الوقف السليم أن يكتمل المعنى، وأن يكون هذا المعنى مما هو مستساغ شرعاً وعقلاً، لئلا يؤدي ذلك إلى سوء الفهم، أو مخالفة المقصود.

ثالثاً ـ التوجيه للتعمق في علوم اللغة العربية

لقد أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣]. وتحفل كتب التفسير بلغة العرب، والكلمات الدارجة في عصر تنزل القرآن، حيث يُستشهد بها لتجلية المعنى، وتُذكر للاستعانة بها في توضيح مراد الله عز وجل.

ولأن المتعلمين في هذه المرحلة يمتازون بالنضج الفكري، والتفوق العلمي، فإن من واجب المربي أن يوجههم إلى مجال أعمق مما سبق دراسته في المراحل السابقة، ومن ذلك التوجيه إلى زيادة الاعتناء باللغة العربية وعلومها، لزيادة فهم معاني كلمات القرآن وأساليبه، وتراكيبه، وبالتالي زيادة التدبر.

---

(١) التبيان، ص١٠٢.

فالمتدبر الفاهم للغة يستوعب سر ترتيب الكلمات في القرآن، فيميز مثلاً بين عبارة (إنما يخشى الله من عباده العلماءُ) وعبارة (إنما يخشى العلماءُ من الله)، ويميز الفرق بين الكلمات المترادفة، وعلاقتها بالسياق القرآني، ومن عجائب القرآن أنه «يعمد تارةً إلى الأضداد، يجاور بينها، فيخرج بذلك محاسنها ومساويها في أجلى مظاهرها، ويعمد تارةً أخرى إلى الأمور المختلفة في أنفسها من غير تضاد، فيجعلها تتعاون في أحكامها، يسوق بعضها إلى بعض مساق التنظير أو التفريغ، أو الاستشهاد، أو الاستنباط، أو التكميل أو الاحتراس، إلى غير ذلك»[١].

والملاحظ أن مستويات التلاميذ في اللغة العربية ليست قوية، بل إنها قد تكون في المراتب الدنيا مقارنةً ببعض المقررات المعاصرة التي يدرسونها، ولذا فإن على المربين أن يبذلوا جهداً كبيراً في رفع مستوى العناية والاهتمام باللغة، وفي استيعابهم لها، وقدرتهم على فهمها. ذكر محمد الدويش[٢] وسائل يتبعها المعلم مع طلابه لتحقيق هذا الهدف، وليزداد فهمهم للقرآن وينالوا التدبر الأمثل لكتاب الله، ومن هذه الوسائل:

أ - الاستشهاد بلغة العرب - نحواً وبلاغةً وغريباً - في بيانه للمعاني وتعليقه على الآيات.

ب - تضمين هذه الجوانب في الأسئلة التي يلقيها على المتعلمين عن معاني الآيات.

جـ - إحالة المتعلمين إلى المراجع المتخصصة في ذلك، وتشجيعهم على الاستعانة بلغة العرب على فهم القرآن.

د - الربط بما يدرسه المتعلم في مقررات اللغة العربية.

---

(١) النبأ العظيم، ص١٦١.

(٢) تنمية القدرة على التدبر، ص٩١.

هـ - إيراد أثر تغير حركة الإعراب على المعنى، مما يرسخ في ذهنه أهمية اللغة وقواعدها.

و - إيراد أثر تغير اللفظة بلفظة أخرى، مما يقوي لديه إدراك الإعجاز اللفظي في القرآن الكريم.

وهناك العديد من المؤلفات التي جمعت بين اللغة والقرآن، يحسن بالمتعلم دراستها على المتخصصين من أهل الفن، ومن هذه المؤلفات: تأويل مشكل القرآن وتفسير غريب القرآن، وكلاهما لابن قتيبة (ت ٢٧٦)، وكتاب العمدة في غريب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٧٣)، ونزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز لمحمد السجستاني (ت ٣٣٠)، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥). ومعاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧)، ومن الكتب المعاصرة: كتاب الجدول في إعراب اللغة وصرفه لمحمد وصافي، وكتاب إعراب القرآن وبيانه للدرويش، وغيرهما كثير. وهناك دراسة علمية بعنوان «التفسير اللغوي» للدكتور مساعد الطيار.

ولا شك أن تربية المتعلمين لمعرفة لغة العرب وأساليبهم يساعد في فهم القرآن، وليس المقصود أن يصل متدبر القرآن إلى أن يكون نحوياً كسيبويه، ولا بلاغيا كالجرجاني، ولا أن يكون موسوعةً لغويةً كابن مالك، وإنما المطلوب أن يزداد استيعاب المتدبر لكتاب الله للغة وفنونها.

يقول علي سلام: «والرجوع إلى معاني اللغة والاحتكام إليها في التعرف على معاني القرآن عصمةٌ وهدايةٌ، ودربةٌ ودرايةٌ، فهي وعاء معانيه، ومظهر إعجازه، وليس أقدر على فهم أساليبه واستلهام أسراره، من عالم باللغة متفقه في علومها، متبحر في معارفها، وهذا أمر وعاه المتصلون بالقرآن الكريم الباحثون في معانيه»[١].

---

(١) المفردات القرآنية، ص٤.

ومما يتعلق بعلوم اللغة العربية علم المناسبات، وهو «علم تعرف به وجوه ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض»، وله أنواع، منها: المناسبة بين أول السورة وخاتمتها، والمناسبة بين الآية والتي تليها، والمناسبة بين حكمين في آية أو في عدة آيات، إلى غير ذلك من الأنواع. ورغم أن هذا العلم قد يشوبه شيء من التكلف والمماحكة، إلا أن غير المتكلف منه ساعد في زيادة استيعاب المعاني، «وأعان على الكشف عن جانب من جوانب الإعجاز القرآني... وفضيلة هذا العلم لم تقف عند هذا، بل تجاوزته إلى تسديد الفهوم بتجلية المفهوم، فالمناسبة لا تقل أهميةً عن السبب في الإعانة على فهم المعنى، وتبين حدود الأحكام»[١].

ومن الأمور المهمة التربية على الدراسة الموضوعية من القرآن، والتعريف بمقاصد السور، والمقصود بالوجوه والنظائر، ودراسة أساليب القرآن، ومعرفة كيفية الاقتباس من القرآن.

رابعاً ـ التدريب على استخراج الحكم واستنباط الأحكام

عملية الاستنباط هي عملية متقدمة من أعمال العقل، وتستلزم تشغيل الذهن، وتقليب الفكر والنظر، واستحضار المعلومات المخزنة في الذهن، وتفعيل الخبرات السابقة. وله تعريفات كثيرة، وعرفه مساعد الطيار بأنه «ربط كلامٍ له معنى بمدلول الآية، بأي نوع من أنواع الربط، كأن يكون بدلالة إشارةٍ أو دلالة مفهوم، أو غيرها. وكل كلام رُبط بمعنى الآية فإنه من هذا الباب، لأن الذي يقول به، يرى أنه دلت عليه بأي نوع من أنواع الدلالة، وقد يكون استنباط حكم فقهي، أو يكون استنباط أدب أخلاقي في معاملة الناس، أو يكون استنباط فوائد تربوية تتعلق بتزكية النفوس، أو يكون استنباط فائدة علمية»[٢].

(١) البرهان في تناسب السور، مقدمة المحقق، ص٦٧.
(٢) مفهوم التفسير والتأويل، ص١٦٠.

وهذه المقدرة المتطورة لا ينبري لها إلا من جاوز المراحل السابقة، وأخذ قدراً من المعارف والعلوم المتعلقة بالقرآن، وهي منزلةٌ يخوض غمارها العلماء ومن في مستواهم من طلاب العلم، وهذا المستوى قد وصل إليه بعض الصحابة، ومنهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فعن ابن عباس رضي الله عنه: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر...» قال: «ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١]؟ «قال بعضهم: «أُمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نُصرنا وفُتح علينا»، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فال لي: «فما تقول؟»، قلت: «هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ ـ وذلك علامة أجلك ـ ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾، فقال عمر: «ما أعلم منها إلا ما تقول» رواه البخاري في كتاب التفسير برقم ٤٩٧٠.

يقول ابن حجر رحمه الله عن هذا الحديث: «فيه جواز تأويل القرآن بما يُفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم، ولهذا قال علي رضي الله عنه: أو فهماً يؤتيه الله رجلاً في القرآن»[(١)].

يقول ابن كثير رحمه الله: «فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك، وتعليمه، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله... فعلينا ـ أيها المسلمون ـ أن ننتهي عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا الله من تعلم كتاب الله المنزل إلينا، وتعليمه، وتفهمه، وتفهيمه»[(٢)].

والمتعلم قد يصل باجتهاده إلى عدد من الاستنباطات واللطائف، مبنيةٍ

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٨ ص٧٣٦.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ج١ ص٨.

على خلفيته الشرعية والثقافية، ولكن على المربي أن ينبهه على ما يلي:

- مراعاة الأدب اللائق بالقرآن.
- استحضار مقاصد الشرع.
- ربط الاستنباط بأمر لفظي، أو سياقي في النص.

ولأن هذه القضية مزلة أفهام، ومجلبة أسقام، فقد اشترط السنيدي شروطاً للاستنباط لا بد من التزامها، وهي كما يلي[(١)]:

أ - سلامة المقصد عند بيان الأحكام.

ب - معرفة مواطن الاستنباط والنظر.

جـ - إتقان العلوم المؤهلة للاستنباط.

د - الاعتماد على الحجة.

هـ - مراعاة مقاصد الشريعة وغاية القرآن.

وحين يقرأ المتعلم، ويفهم الآيات الكريمات، يستطيع أن يستخرج حكماً وآداباً لم تُذكر صراحةً في النص، وذلك بالتأمل في دلالات الألفاظ والمعاني، وإشاراتها وتنبيهاتها، ومعرفة ما يشابه الأشياء وما يضادها، وما يتفرع عنها. وعلى المربي أن يحث طلابه على الرجوع إلى كتب أهل العلم المجتهدين كابن تيمية، وابن القيم، والشاطبي وغيرهم، لأن النظر في مؤلفاتهم، وخاصةً في المواضع التي يكثر فيها الاستنباط، يزيد الذهن حدةً، والفكر تألقاً.

ومن أساليب التربية على الاستنباط:

- الاستعانة بكتب التفسير بالرأي القديمة والمعاصرة.

---

(١) تدبر القرآن، ص٨٢.

- دراسة كتب أسباب النزول.
- دراسة أنواع الإعجاز اللغوي والعلمي والتشريعي.
- دراسة موضوعات علوم القرآن.
- الإسقاط، ولفت المتربي على إسقاط الآية على نفسه، ومدى قربه أو بعده عنها.
- دراسة أصول الفقه، وقواعد التفسير.
- تدريب الطلاب على طرح أسئلة على النص القرآني، ثم تدريبهم على الإجابة عليها، تحت إشراف المعلم.

ومن العلوم المساعدة في استخراج الحكم ومعرفة الأحكام، علم القراءات، وفي هذا العلم يمكن للمتدبر الإفادة من أوجه القراءات المختلفة.

ويتصف علم القراءات بمراعاة اللهجات واللغات، وكل كلمة تحوي أكثر من قراءة، تتضمن في الغالب معنى زائداً، ويؤدي هذا المعنى الزائد إلى تدبر أكثر للآية القرآنية. وقد بين العلماء فوائد اختلاف القراءات وتنوعها، فمنها «إعظام أجور هذه الأمة حيث إنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك، واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسراره، وخفي إشارته، وإنعامهم النظر، وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل والترجيح، والتفصيل بقدر ما يبلغ غاية علمهم، ويصل إلى نهاية فهمهم»(١).

خامساً ـ التربية على نشر (مفهوم التدبر والعلوم المستنبطة منه) في المجالس

إن تدبر القرآن ينبغي أن يظهر أثره على القارئ، ومن تدبر القارئ أن يعمل الإنسان بالآيات التي تدعو إلى نشره والدعوة إليه، قال تعالى:

(١) النشر في القراءات العشر، ص٤٨.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. فمن آتاه الله علماً وفهماً لكتاب الله فعليه أن يقوم بدوره في تبليغ هذا العلم ونشره.

وفي تفسير الآية السابقة يقول ابن سعدي رحمه الله «الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذه الله تعالى على كل من أعطاه الله الكتاب وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك، ويبخل عليهم به، خصوصا إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل. فأما الموفقون، فقاموا بهذا أتم القيام، وعلموا الناس مما علمهم الله، ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقة على الخلق، وخوفا من إثم الكتمان. وأما الذين أوتوا الكتاب، من اليهود والنصارى ومن شابههم، فنبذوا هذه العهود والمواثيق وراء ظهورهم، فلم يعبأوا بها، فكتموا الحق، وأظهروا الباطل، تجرؤا على محارم الله، وتهاونوا بحقوق الله، وحقوق الخلق، واشتروا بذلك الكتمان ثمنا قليلا، وهو ما يحصل لهم إن حصل من بعض الرياسات، والأموال الحقيرة، من سفلتهم المتبعين أهواءهم، المقدمين شهواتهم على الحق، ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ لأنه أخس العوض، والذي رغبوا عنه ـ وهو بيان الحق، الذي فيه السعادة الأبدية، والمصالح الدينية والدنيوية ـ أعظم المطالب وأجلها، فلم يختاروا الدنيء الخسيس ويتركوا العالي النفيس، إلا لسوء حظهم وهوانهم، وكونهم لا يصلحون لغير ما خلقوا له»[١].

فالواجب على من أوتي علم التدبر، وتمكن منه، أن يخصص من وقته وجهده لنشر هذا العلم، وتوضيح مرادات الله في كتابه، كلما سنحت الفرصة لذلك. ومن يفعل ذلك فإنما يفعله تزكيةً لعلمه، وابتغاءً للأجر والثواب من الله تعالى، ومن دل على هدى فله مثل أجر فاعله. ومن صور نشره ما يلي:

(١) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، ص٧٥.

أ ـ إلقاء الدروس والمحاضرات عن تدبر القرآن في المساجد، والمنتديات.

ب ـ المشاركة في البرامج الإعلامية الخاصة بالقرآن، عبر القنوات الفضائية وغيرها.

جـ ـ إنشاء المواقع القرآنية الخاصة بتفسير القرآن وتدبره عبر الشبكة العنكبوتية.

د ـ كتابة المقالات في الصحف والمجلات السيارة عن تدبر القرآن، وربطها بالأحداث اليومية ما أمكن ذلك.

هـ ـ تأليف الكتب المتضمنة لوقفات واستنباطات في تدبر القرآن وفهم مراميه.

و ـ إقامة دروس في التفسير مبناها التدبر، بشرط أن يكون ذلك بأسلوب قريب من أفهام الناس، خالٍ من المصطلحات التي لا يفهمها إلا المتخصصون.

ز ـ إرسال رسائل تذكيرية في أهمية تدبر القرآن، وكيفيته، وأحواله، ونماذج من أهله، وذلك عبر رسائل الجوال أو غيرها.

سادساً ـ تعليم مهارات التفكير

هناك علاقة كبيرة بين التدبر والتفكير، وقد حث القرآن الكريم على التفكير وبين أهميته في آيات كثيرة، ونلاحظ الربط الواقعي لحياة البشر، ومشاهداتهم اليومية، وانشغالاتهم الحياتية مع الذكاء العقلي، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، وقال أيضاً: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، وقال: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٥]، ويقول تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ

وَلَهْوٌۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]، وغيرها من الآيات.

وهذا الحشد الكبير من النصوص القرآنية يؤكد على إعمال العقل للحصول على المنافع الدنيوية والأخروية. وحيث إن المقصود من القرآن هو التدبر والعمل، فلا بد إذن من التفكير في الآيات، والتأمل في ألفاظها، واستخراج معانيها، وهذه الأمور تمثل جانباً من مهارات التفكير، التي يحتاج أن نربي الأجيال عليها، «وإن الدارس المتبصر للقرآن الكريم يجد فيه آياتٍ حافزةً على ممارسة عدد من مهارات التفكير، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - مهارة الإصغاء.

٢ - مهارة الانتباه.

٣ - مهارة الربط بين المتشابهات.

٤ - مهارة التفريق بين المختلفات.

٥ - مهارة الاستنتاج.

٦ - مهارة التتبع.

ولهذا عُنِي كثير من علماء المسلمين بالتفكير، وعدوا تنميته في المتعلم من أهم الأهداف التي يرمي إليها النظام التربوي، لأنهم أدركوا سر اهتمام القرآن والسنة النبوية به»(١).

وهناك مهارات أخرى للتفكير يذكرها بعض المتخصصين، ومنها: «الملاحظة، التصنيف، التفسير، المقارنة، التوقع، الوصف، الاستنتاج، التسجيل، تحليل المعلومات، التقويم، التركيب، التطبيق، معالجة

---

(١) دليل المعلم لتنمية مهارات التفكير، ص٥.

المعلومات، اكتشاف الأنماط، اكتشاف أوجه الشبه، اكتشاف أوجه الاختلاف، اتخاذ القرارات، حل المشكلات»[١].

ويمكن للمربي أن يربي طلابه على التدبر، وينمي لديهم هذه المهارة بإعطاء ومناقشة تمارين مماثلة لما يلي:

أ - استخراج آيات تقارن بين أحوال المؤمنين وأحوال الكافرين.

ب - جمع الآيات المتشابهة أو القريبة المعنى في وصف نعيم الجنة.

جـ - اكتشاف أوجه الشبه في الآيات التي توضح منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله.

د - توقع نهاية الظالمين والمتجبرين من خلال بعض القصص القرآني.

هـ - حل مشكلات الشباب المعاصر فيما يتعلق بالعلاقة مع الجنس الآخر من خلال سورة النور.

و - تحليل آيات عباد الرحمن، ومقارنتها مع حال بعض المسلمين اليوم.

وعلى سبيل المثال، حين تكون السورة المقررة للدراسة والتدبر هي سورة الكهف، يمكن للمعلم أن يستخدم أسئلة مختلفة مما يتعلق بمهارات التفكير، ويكلف طلابه بعدد من الأنشطة التي تنمي هذه المهارات، وذلك كما يلي:

- تأمل في الآيات العشر الأولى من سورة الكهف واستنبط أركان الإيمان منها؟

- ما هي القصص الواردة في هذه السورة؟

- ماذا تستفيد من قصة أصحاب الكهف؟

---

(١) تدريب المعلمين على تعليم مهارات التفكير بأسلوب التعلم التعاوني، ص٩٦.

- قارن بين صاحب الجنتين في هذه السورة مع قصة أصحاب الجنة في سورة القلم؟
- حاول تطبيق مواقف الأشخاص في قصة ذي القرنين على الواقع المعاصر؟
- استنتج آداب طالب العلم من قصة الخضر مع موسى عليهما السلام؟
- ما الآيات ـ من السورة ـ التي تدل على التعاون في إنجاز الأعمال والمشاريع؟
- مستفيداً من قصة أصحاب الكهف.. اكتب رسالة إلى شاب يرافق أصحاب السوء؟
- ارجع إلى مصادر التعلم المختلفة، واكتب الأحاديث الصحيحة الواردة في فضل سورة الكهف؟
- ما هي أقوال المفسرين في مدرسة التفسير بالرأي، عن قضية موقع الكهف؟ وما رأيك في ذلك؟
- ما هو تقويمك لقصة أصحاب السفينة؟ وما علاقتها بسفينة المجتمع في الحديث المشهور؟
- اربط بين قصص سورة الكهف، وحال الدجال، والإمكانيات التي أوتيها؟
- ما تفسير العلاقة بين الحث على قراءة سورة الكهف كل جمعة، وأخبار علامات الساعة؟

والطلاب المتدبرون في هذه المرحلة المتقدمة، يملكون من الاستعدادات الذهنية، والقدرات العقلية ما يؤهلهم لمزيد من التدبر والفهم لكتاب الله، ومن ثَمّ الاستفادة العملية لما يقرأون ويتدبرون، يقول مختار شاكر: «والتدبر يقوم على نشاط عدد من القدرات العقلية كالتذكر والتخيل والتصور والاستدلال، وغير ذلك من القدرات التي تعتمد عليها عملية الربط بين أفكار المتدبر السابقة والمعاني المعبرة عنها الألفاظ المرسومة أو المسموعة، ولهذا

كان حضور الذهن من الأمور الضرورية للتدبر. ويعتبر التدبر عملية نمو في العقل والسلوك، وفي الثقافة، وفي الاتجاهات والميول والعادات الانفعالية، وبذلك يكون التدبر تربية ذاتية بالمعنى الواسع للتربية، لأنه سبيل يؤدي إلى تطوير ملكة التفكير واتساع المدارك وزيادة الخبرات، فضلاً عن ترسيخ الإيمان وتثبيت العقيدة السليمة، وتقويم السلوك المعوج، وتحسين العلاقات الإنسانية والاجتماعية»[١].

(١) دعوة إلى تدبر القرآن الكريم.. كيف ولماذا، ص٩١.

الفصل الخامس

طرق تربية الذات على التدبر

مقدمة في التعلم الذاتي

أولاً ـ الإخلاص سر النجاح في التدبر والفهم

ثانياً ـ الاستعداد النفسي للتدبر

ثالثاً ـ الدعاء بأن يرزقه الله التدبر

رابعاً ـ مراقبة الإنسان لنفسه ومحاسبتها أثناء القراءة

خامساً ـ تعويد النفس على التأني في قراءة القرآن وعدم العجلة

سادساً ـ اعتبار الفرد أنه المقصود (وليس غيره) بكل خطاب في القرآن

سابعاً ـ ملازمة الورد القرآني

مقدمة في التعلم الذاتي

ذُكر في المباحث السابقة عدد من الوسائل والطرق التي يتبعها المربي أياً كان موقعه في العملية التربوية، سواءً كان معلماً أو والداً أو مربياً، لغرس وتطبيق مفهوم التدبر لدى المتربي، وهذا المبحث يختص بدور المتربي في توجيه ذاته نحو التدبر، وكيف يمارس عملياً هذا المفهوم. والواجب على المربي أن ينبه طلابه إلى هذا الأسلوب المهم من أساليب التربية، وتوجيهه إلى الاستفادة من الوسائل والطرق الذاتية المعينة على التدبر.

وهذه الوسائل والطرق يختلف تطبيقها من شخص لآخر حسب قدراته واستعداداته، وهي تعتمد على مقدار الوقت والجهد الذي يبذله للتمكن منها، ويختلف قوة استيعابها بناءً على عوامل متعددة، ترجع إلى خلفية المتربي الإيمانية والثقافية، وتتأثر بالمرحلة العمرية التي يعيشها المتربي. وهي ترجع في ذلك كله، بعد توفيق الله، إلى ما يسمى بالتعلم الذاتي، وهذا الأسلوب «يعتمد على نشاط المتعلم، ويُعد أحد الأساليب الفعالة في مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، فهم يختلفون في قدرتهم على التعلم، وفي اهتماماتهم ودافعيتهم للتعلم، وكذلك في مستوى تحصيلهم وخبراتهم السابقة، لذلك فالتعلم الذاتي يقرر فيه المتعلم متى يبدأ، وأين يبدأ، ومتى ينتهي، وأي الوسائل والبدائل يختار، وهو المسئول عن تعلمه، وعن النتائج التي يحققها، والقرارات التي يتخذها»[١].

---

(١) أساليب التعليم والتعلم وتطبيقاتها في البحوث التربوية، ص١٥١.

ومن الطرق الذاتية في تعلم التدبر ما يلي:

أولاً ـ الإخلاص سر النجاح في التدبر والفهم.

ثانياً ـ الاستعداد النفسي للتدبر.

ثالثاً ـ الدعاء بأن يرزقه الله التدبر.

رابعاً ـ مراقبة الإنسان لنفسه ومحاسبتها أثناء القراءة.

خامساً ـ تعويد النفس على التأني في قراءة القرآن وعدم العجلة.

سادساً ـ اعتبار الفرد أنه المقصود (وليس غيره) بكل خطاب في القرآن.

سابعاً ـ ملازمة الورد القرآني.

أولاً ـ الإخلاص سر النجاح في التدبر والفهم

إن سر النجاح للحصول على فهم معاني القرآن وتدبره ليس خاصاً بالقرآن، بل هو سر كامن في كل الأعمال الصالحة، ذلكم السر هو الإخلاص في الأداء، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]. فلا يقرأ المتعلم ابتداءً ليقال قارئ، ولا يتفاخر بتدبره، أو برجوعه إلى التفاسير وكتب أهل العلم رياءً وسمعة، لأن ذلك من أخطر الأمور، التي تؤدي إلى بطلان العمل، وذهاب أجره، وزوال ثوابه. فعلى متدبر القرآن أن يذكر نفسه دائماً بالإخلاص، وأن يجدد نيته وهو يقرأ كتاب الله متأملاً، أو متدبراً.

ثانياً ـ الاستعداد النفسي للتدبر

إن عملية التدبر الحقيقي لكتاب الله يبدأ فعلها من الشخص نفسه، وينتهي أثرها إليه، ولا يمكن أن يحصلها المتعلم إلا إذا كانت لديه دافعيةٌ قويةٌ لتعلمها وتطبيقها في واقعه العملي. فهي من التربية الذاتية التي لا يكفي أن يقوم بها المعلمون والمربون، لأن دورهم ينتهي بالدلالة والتوجيه، ولكن

التأمل والتأثر يرجع إلى المتعلم بذاته. والسبب أن المتعلم قد يمسك بكتاب الله بيديه، أو يتظاهر بأنه يستمع إليه بأذنيه، ومع ذلك تكون القراءة مجرد ترديد للألفاظ، والاستماع مجرد لحظات صمت. وهذا ما يؤكد حقيقة أن التدبر من العمليات الذهنية العليا التي تحتاج إلى تركيز وانتباه ومجاهدة، فإذا ما نجح المتعلم في ذلك تحصل على المقصود، ونال المطلوب بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فلا بد أولاً من أن توجد الرغبة في التدبر، وتهيئة النفس لقبول ما يُتلى ويُسمع من آيات قرآنية، ومن ثم يحصل التدبر. ومن المتفق عليه لدى التربويين على اختلاف مللهم ونحلهم، أن وجود الدافعية للتعلم سبب رئيس لحصول التعلم، وأن تحريك القوة الداخلية في الإنسان يُولد السلوك ويُوجهه، ولذا فإن «فهم القرآن وتدبره يستلزم تفاعلاً من القارئ، فيقرأه بخشوع وتمعن، ويتفكر في الألفاظ والكلمات، وأن ينصرف بقلبه وحواسه نحو إدراك المعاني العظيمة التي تتضمنها الآيات، فلا يعبث بشيء أبداً، ولا يسرح بفكره خارج نطاق ما يقرأ، ويقرأ قراءةً تشرح الصدور، وتستثير القلوب»(١).

والاستعداد النفسي الداخلي يتحقق بتوطين القلب على التدبر، ويصاحب ذلك تهيئة المكان المناسب، واختيار الوقت المناسب للقيام بعملية التدبر. ولا بد أن يختار المتدبر البيئة المساعدة لذلك، بحيث يكون بعيداً عن الضوضاء والأصوات المزعجة، ولا يكون ذهنه منصرفاً إلى الشواغل والملهيات، فتبعده عن التأمل في الآيات، والغوص في معانيها.

ومن الأمور المعينة أن يكون الإنسان عند قراءته، طاهراً، منظفاً فاه بالسواك، مستقبلاً القبلة، مستعداً لقبول التوجيهات القرآنية، خاشعاً في جلسته، متذللاً في قراءته، أشد من تذلل الجندي أمام قائده.

---

(١) كيف نحيا بالقرآن، ص٩٩.

وينبغي أن يحرص المتربي على الأوقات الهادئة، والتي تكون فيها النفس مرتاحة، وغير متضجرة ولا متعبة، ويتحين أوقات البكور والسحر، فهي من أجود الأوقات للتدبر.

وإذا ما حصل التركيز القلبي والذهني، نال المتعلم الانتفاع المأمول، يقول ابن القيم: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]... استمع كتاب الله وأنت شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساه، وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له والنظر فيه وتأمله، فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحي، ووُجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر»(١).

فالاستعداد النفسي يمكن المتربي من تحقيق التدبر من خلال الأمور التالية:

أ - الإصغاء السمعي المتأثر بالآيات المتلوة.

ب - التركيز الذهني والتفكر في الآيات.

ثالثاً ـ الدعاء بأن يرزقه الله التدبر

إن من الأخطاء التربوية الفادحة التي ما زالت تعاني منها مجتمعات المسلمين أنها اعتمدت على الأسباب، ولم تركن إلى مسبب الأسباب، ولذلك جانَبَ الصواب والتوفيق الكثير من الجهود التربوية، والمشاريع الشخصية، والأمنيات الحياتية، والعلة في ذلك أن الكثير من العاملين في

---

(١) الفوائد، ابن قيم الجوزية، ص٨.

الميدان التربوي نسوا أو تناسوا أن من أهم الأمور لتحصيل أي مقصود هو أن يلتجئ المتربي إلى خالقه، يطلب منه التوفيق والإعانة، على تحقيق ما يتمنى ويريد، ولذلك ينبغي عدم إغفال الدعاء في جميع الأمور، ومنها تحصيل التفهم والتدبر لكتاب الله.

فمهما بذل الإنسان من وسائل، ومهما اتخذ من طرق، ومهما توفرت لديه الإمكانيات البشرية والمادية، ومهما اجتهد المربون، فلن يظفر المتربي بمراده إذا لم يعنه مولاه سبحانه وتعالى، فما أصابه من حرمان التدبر فهو بقدر من الله، وما أعطي الإنسان من حظوظ في التدبر فهي بإرادة الله أيضاً، فإذا كان الأمر كذلك، وجب على العاقل أن يقرع أبواب السماء، ولا يمل من الطرق حتى يتحقق مراده، بل وبعد التحقق. قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فمن الدعاء الجالب للتدبر أن يدعو الإنسان أن يرزقه الله العيش في رحاب القرآن بصدق، وأن ييسر له فهم آياته وألفاظه، وأن يجعله ربيعاً لقلبه وفؤاده كي لا يمل من الجلوس مع القرآن ومناجاة الرحمن، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما أصاب أحد قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحا) قال: فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: (بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها) رواه أحمد برقم ٧٩٩ وصححه الألباني.

وقد يستخدم الداعي أدعيةً مقتبسةً من أحاديث الرسول ﷺ، ويسأل الله بالقرآن كالأدعية التالية:

- (اللهم فقهني في الدين وعلمني التأويل).
- (اللهم ارزقني تلاوة كتابك والعمل به على الوجه الذي يرضيك عني).
- (اللهم اجعله حجةً لنا، لا حجةً علينا واجعله قائداً لنا وللمسلمين والمسلمات إلى الجنة).
- (اللهم اجعله شاهداً وشفيعاً، وحرزاً ومؤنساً).

رابعاً ـ مراقبة الإنسان لنفسه ومحاسبتها أثناء القراءة

إن مما يدفع للتدبر أن يحاسب الإنسان نفسه، ويكون عليها رقيبا، ليرى هل تتفاعل نفسه مع الآيات، أم أن هناك من العقبات والحواجز ما يمنع حصول الأثر التدبري، ثم يسعى لتجاوز تلك العقبات، وتحصيل التزكية التي يريدها القرآن، يقول الإمام الآجري: «من أحب أن يعلم ما هو فليعرض نفسه على القرآن»[1].

فكل إنسان أدرى بحاله من غيره، ويعرف من نفسه، ما هي الحالات والظروف التي تعينه على التدبر. وهناك العديد من الحالات والظروف التي يحتاج الإنسان أن يعرف ما هو الأفود له، والأحسن لصلاح قلبه، ومن هذه الحالات ما يلي:

الحالة الأولى: القراءة من المصحف أو من ظهر قلب

فالمتعلم يراقب نفسه في استخدام الوسيلة القرائية، وذلك كي يعرف هل الأفضل لحاله أن يقرأ من المصحف، أو يقرأ عن ظهر قلب. وقد اختلف السلف في أيهما الأفضل للتدبر، لكن الإمام النووي أكد أنه[2] «يختلف باختلاف الأشخاص:

(١) أخلاق أهل القرآن، ص٢٠.
(٢) التبيان، ص٧١.

أ - يختار القراءة في المصحف لمن استوى خشوعه وتدبره في حالتي القراءة في المصحف وعن ظهر قلب.

ب - يختار القراءة عن ظهر قلب لمن يكمل بذلك خشوعه، ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف».

وإذا كانت قراءته من المصحف، فعليه أن يركز النظر في الآيات أثناء القراءة، ويطيل النظر فيها، فذلك أدعى إلى مزيد من التدبر والتأمل.

الحالة الثانية: القراءة في الصلاة أو خارجها

مراقبة الإنسان نفسه في تدبره للقراءة أثناء الصلاة، وتدبره في خارج الصلاة، فإن كان تفهمه للمعاني وتأمله في الصلاة أكثر، فإن هذا يحثه على الإكثار من الصلوات النوافل، ليزداد تدبره، وإن كانت نفسه تتفاعل مع الآيات في خارج الصلاة أكثر، فيكثر من قراءة القرآن في يومه وليلته، وكلما سنحت له الفرصة. يقول الإمام ابن تيمية: «القراءة في الصلاة أفضل من القراءة في غير الصلاة، ولكن من حصل له نشاط وفهم للقراءة دون الصلاة، فالأفضل في حقه ما كان أنفع له. . .، من الناس من يجتمع قلبه في قراءة القرآن وفهمه وتدبره ما لا يجتمع في الصلاة، وليس كل ما كان أفضل يُشرع لكل أحد، بل كل واحد يُشرع له أن يفعل ما هو أفضل له»(١).

الحالة الثالثة: القراءة برفع الصوت أو خفضه

للصوت رفعاً وخفضاً أثر واضح في التفاعل مع الآيات، وتدبرها وتفهم معانيها، ومع أن لكل منهما فضله، استناداً على حديث عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة) رواه الترمذي برقم ٢١١٩ وصححه الألباني، إلا أن العلماء بينوا أن الجهر أفضل، لقول النبي ﷺ: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن يجهر به) رواه البخاري برقم ٧٥٢٧.

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام، ج٢٣ ص٦٣.

ذكر النووي التفريق بين الجهر والإسرار، فقال: «جاءت آثار فضيلة رفع الصوت بالقراءة، وآثار فضيلة الإسرار، قال العلماء: والجمع بينهما أن الإسرار أبعد من الرياء، فهو أفضل في حق من يخاف ذلك، فإن لم يخف الرياء فالجهر أفضل، بشرط ألا يؤذي غيره من مصلٍ أو نائم أو غيرهما. ودليل فضيلة الجهر أن العمل فيه أكثر، ولأنه يتعدى نفعه إلى غيره، ولأنه يوقظ القلب، ويجمع همه إلى الفكر، ويصرف سمعه إليه... فمن حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل»(١).

وعلى أي حال فالمتربي أدرى بنفسه، وهو ينظر في حاله، ويعرف ما هو الأنسب له: هل الجهر بالقراءة أم الإسرار بها.

الحالة الرابعة: القراءة في المسجد أو خارجه

مراقبة المتعلم نفسه في مكان القراءة التدبرية، فقد تحصل له أثناء مكوثه في المسجد، لكونه بعيداً عن المشغلات الدنيوية، ولبركة الجلوس في المسجد، وقد يناسب المتعلم أن يكون ذلك في غرفته الخاصة، أو في مصلاه المنزلي.

خامساً ـ تعويد النفس على التأني وعدم العجلة

لا شك أن القراءة السريعة التي يمتاز بها هذا العصر مفيدة لمعرفة القضايا الرئيسة في الكتب والأبحاث والمجلدات، وهي ضرورية لملاحقة التفجر المعرفي الذي شمل جميع المجالات. ولا بأس أن تعقد الدورات واللقاءات لتعريف المتعلمين بهذا النوع من القراءة، والتي تسمى أحياناً بالقراءة الضوئية.

ولكن الأمر يختلف اختلافاً جذرياً مع القرآن، فالواجب التأني وعدم العجلة، وذلك لأن من يقرأ بسرعة، فإن هذا مظنة عدم الفهم. وقد أمر

---

(١) التبيان، ٧٦. الأذكار ص٩١، المجموع ج٢ ص١٦٦.

النبي ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما بألا يختم القرآن في أقل شهر، ثم سمح له أن يختمه في أسبوع، حيث قال ﷺ: (اقرأ القرآن في شهر)، فقال عبد الله بن عمرو: إني أجد قوة، قال ﷺ: (فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك) رواه مسلم برقم ١١٥٩.

ولأن يقرأ الإنسان آيات قليلة بتأنٍ وهدوء، ويظهر أثرها في سلوكه، أفود وأجدى من القراءة السريعة ذات المردود الضعيف. يقول أبو بكر الآجري: «والقليل من الدرس للقرآن مع الفكر فيه وتدبره أحب إلي من قراءة الكثير من القرآن بغير تدبر ولا تفكر فيه، وظاهر القرآن يدل على ذلك والسنة وقول أئمة المسلمين»(١).

فمن كانت لديه سرعة القراءة، والكلمات تتحدر من فمه تحدراً، وتنساب منه بلا مشقة، فلْيعوِّد نفسه على الإبطاء في قراءة القرآن خاصةً، وليحرص على تربية نفسه على التدبر كما كان يفعل سلف هذه الأمة. حينما سئل زيد بن ثابت: كيف ترى في قراءة القرآن في سبع؟ قال: حسن، ولأن أقرأه في نصف شهر أو عشر أحب إلي، وسلني لم ذاك؟ قال: فإني أسألك؟ قال زيد: لكي أتدبره وأقف عليه» أخرجه مالك في الموطأ ج١ ص٢٠١.

وحين يلتزم المتربي بالقراءة المتأنية، الهادفة إلى التدبر والتأمل، يربي في نفسه عدم الاستعجال في القراءة، وعدم الحرص على إنهاء السورة والجزء. أما إذا كان مستعجلاً فلن يُحصِّل فوائد القرآن وثماره من الخشوع والتلذذ والهداية الشاملة، يقول الحسن البصري: «يا ابن آدم! كيف يرق قلبك وإنما همتك في آخر السورة»(٢).

وإذا استمر المتعلم على التدبر، أو جعل له ختمةً خاصةً للتدبر، غير ما يقرؤه للتلاوة أو الحفظ، فإن هذا سيصبح عادةً وسجيةً طبعيةً في سلوكه،

---

(١) أخلاق حملة القرآن وأهله، ص٩٨.

(٢) مختصر قيام الليل، ص١٥٠.

ولأن يداوم الإنسان على التدبر المستمر لآيات محدودة، أحب إلى الله من أن يتدبر فترةً من الزمن ثم ينقطع، عن عائشة ﵂ قالت: أن رسول الله ﷺ قال: (سددوا وقاربوا واعلموا أن لن يدخل أحدَكم عملُه الجنة وأن أحب الأعمال الله أدومها وإن قل)، رواه البخاري في كتاب الرقاق برقم ٦٤٦٤.

ولذا ورد في الأحاديث النهي عن أن يختم الإنسان في أقل من ثلاث، وذلك لما يؤدي إلى فقدان التدبر، يقول الشيخ ابن باز: «المشروع للمؤمن أن يعتني بالقرآن، ويجتهد في إحسان قراءته، وتدبر القرآن، والعناية بالمعاني، ولا يعجل، والأفضل ألا يختم في أقل من ثلاث، هذا هو الذي ينبغي حسب ما جاءت به السنة ولو في رمضان»[١].

سادساً ـ اعتبار الفرد أنه المقصود (وليس غيره) بكل خطاب في القرآن

قد يخدع بعض القراء أنفسهم عندما يستمع إلى الآيات أو المواعظ، وينسبها إلى غيره من الناس، ولذلك تجده على حالة واحدة على الدوام، وتمر الأيام والسنون وهو لم يتقدم ولم يتحسن في الإيمان والسلوك، بل ربما يتأخر. والواجب أن يقرأ المتربي القرآن أو يستمع إليه وهو يشعر بالخطاب الإلهي وكأنه موجهٌ له شخصيا، وليس لغيره من الناس، فيقف أمامه طويلاً، ويفتح له منافذ قلبه وفكره، تحقيقاً للاستجابة المباشرة والتأثر الفوري. يقول القاسمي: «يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن، فإن سمع أمراً أو نهياً قدر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعداً أو وعيداً فكذلك، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود، وإنما المقصود أن يعتبر بها، ويأخذ من تضاعيفها ما يحتاج إليه، وإذا قُصد بالخطاب جميع الناس، فهذا القارئ الواحد مقصود، فما له ولسائر الناس، فليقدر أنه المقصود، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم

---

(١) الجواب الصحيح عن أحكام صلاة الليل والتراويح، ص٢٧.

بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩](١).

قال محمد بن كعب القرظي: «من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله، وإذا قدَّر ذلك لم يتخذ قراءة القرآن عمله، بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه، الذي كتبه إليه، ليتأمله ويعمل بمقتضاه»(٢).

وعلى القارئ أن يعود نفسه على التساؤل أثناء القراءة، ما المقصود بهذه الكلمة؟ وماذا يراد بهذه الجملة؟ وما الذي تعنيه هذه الآية؟ ويكررها أثناء التساؤل عله يصل إلى حالة من حالات التدبر، فإن لم يجد إجاباتٍ لتساؤلاته رجع إلى كتب التفسير يستخرج الإجابة منها، أو اتصل بأحد العلماء ليبصره بالمقصود منها.

ويقول أبو بكر بن طاهر: «تدبر في لطائف خطابه، وطالب نفسك بالقيام بأحكامه، وقلبك بفهم معانيه، وسرك بالإقبال عليه»(٣).

يقول الإمام النووي: «وإن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار»(٤).

وإذا ألزم المتربي نفسه بإسقاط الآيات على واقعه، فإن هذا مظنة أن يعترف بأخطائه، ويحس بتقصيره، ويغير من حاله إلى الأحسن، ويكون فعلاً ممن قال الله فيهم ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾، يقول أبوبكر الآجري: «فالمؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرض القرآن فكان كالمرآة، يرى بها ما حسن من فعله وما قبح فيه، فما حذره مولاه حذره، وما خوفه به من عقابه خافه، وما رغب فيه مولاه رغب فيه ورجاه، فمن كانت هذه صفته، أو ما قارب هذه

---

(١) موعظة المتقين من إحياء علوم الدين، ص٨٤.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج١٩ ص٣٨.
(٣) المرجع السابق.
(٤) التبيان في آداب حملة القرآن، ص٤٢.

الصفة فقد تلاه حق تلاوته، ورعاه حق رعايته، وكان له القرآن شاهداً وشفيعاً وأنيساً وحرزاً، ومن كان هذا وصفه نفع نفسه ونفع أهله، وعاد على والديه وعلى ولده كل خير في الدنيا والآخرة»(١).

سابعاً ـ ملازمة الورد القرآني

أمر الله عباده المؤمنين بتلاوة القرآن فقال: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩١ ـ ٩٢].

فتلاوة القرآن من الصلة بالله، ولكل فرد طريقته في الاتصال بكتاب الله، المهم أن تكون الصلة دائمة، ويتحقق أثرها التربوي في النفوس، وأن يتفق مع منهج السلف الصالح.

ومع كثرة الترغيب في التلاوة وأجرها العظيم، إلا أن الشارع لم يحدد قدراً معيناً من القرآن يلزم لكل مسلم قراءته، وذلك لأن ظروف الناس وأحوالهم تختلف في كل زمان ومكان، بل إن مقدراتهم وانشغالاتهم تختلف من شخص لآخر.

ويقترح أحد المربين أن يكون للمتربي عدة أوراد، أو عدة طرق للتعامل مع القرآن الكريم، ويجمع بينها على امتداد أسبوع أو شهر أو أكثر، وإجمالها كما يلي(٢):

أ ـ ورد التلاوة، ويستحسن أن يكون ذلك يومياً ولو قل.

ب ـ ورد الحفظ والمراجعة، فيحدد لنفسه مقداراً يحفظه من القرآن، ويتعهد ما يحفظ بالمراجعة حتى لا ينساه.

---

(١) أخلاق أهل القرآن، ص٨١.

(٢) كيف ننتفع بالقرآن الكريم، ص١١١ ـ ١١٥.

جـ ـ ورد الاستماع، ويستحسن أن ينتقي المرء القراء الذين يحب الاستماع إليهم، ويأنس بأصواتهم، وينشرح قلبه لتلاوتهم، ويمكن الاستفادة من الوقت الذي يُقضى أثناء قيادة السيارة.

د ـ ورد الدراسة، وهو أن يدرس معاني ما يحفظ أولاً، ويسعى لأن يقرأ قراءةً واعيةً ـ مرة في الأسبوع مثلاً ـ في كتاب تفسير يختاره، لأن القصد من التلاوة أن تكون مع الفهم.

هـ ـ ورد المدارسة، وهو أن يجتمع مع غيره في مكان معين، والمسجد أفضل الأمكنة، لتدارس القرآن الكريم، فيتلون مقداراً معيناً، ثم يقرؤون تفسير ما تلوه في كتاب تفسير يختارونه، ثم يتساءلون فيما بينهم عن المعاني، ويعلقون، ويسألون، ويجيبون.

و ـ ورد التدبر، وهو الوقوف مع الآيات والتأمل في معانيها ومدلولاتها، وتكرارها أحياناً، والرجوع إلى تفسيرها لتوضيح الغامض، واستلهام المعاني.

ومما يعين على ملازمة الورد القرآني أن يتخذ الإنسان لنفسه الصاحب ذا الهمة العالية، لأن الإنسان قليل بنفسه كثير بإخوانه، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، وفي مجال التدبر يحسن بالمرء أن يستعين بزملائه وأقرانه، فقد يختار منهم صديقاً صدوقاً يرغب في تدبر كلام الله، فيتعاونان على ذلك، ويشغلان جزءاً من أوقات لقائهما بشيء من ذلك، ويحض كل واحد منهما الآخر على البر والتقوى مع كتاب الله، ومن صور التعاون بينهما ما يلي:

- يقرأ الأول ويستمع الثاني، ثم يتبادلان الأدوار، فينتفع كل منهما من صاحبه، وهذا الأسلوب هو الذي كان يستخدمه رسول الله ﷺ مع جبريل عليه السلام.

- حفظ آيات وسور معينة، ومراجعة ما لديهما من محفوظ من كتاب الله.

- قراءة مشتركة في كتاب مختصر في تفسير القرآن، وتدارس معاني الآيات المقروءة.
- البحث الفردي في كتب التفسير عن معنى آية من كتاب الله، ثم الاجتماع لتدارس الفوائد المأخوذة من تلك الكتب.

الخاتمة

النتائج والتوصيات

أولاً ـ النتائج

أهم نتائج الفصل الأول

- التدبر هو النظر في عاقبة الأمور والتفكر فيه، وتدبر القرآن تفهم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته، وهو وسيلة مهمة في زيادة التقوى والإيمان في القلوب.
- تبين لنا من خلال هذا الكتاب ضرورة تعليم التدبر للأجيال كي يظهر في سلوكهم وأخلاقهم، ويكونوا حقاً من أهل القرآن. وعلى جميع المربين أن يبذلوا له الجهود والأوقات، وأن تُستخدم الأساليب التربوية لغرسه في نفوس المتربين.
- إن التدبر يستحق أن يكون علماً منفصلاً من علوم القرآن، بل من العلوم المعاصرة التي تُفرد لها المؤلفات والكتابات الخاصة، ويستحق أن تُنشأ له المؤسسات التربوية، وتكون مستقلةً عن غيرها من الجهات التعليمية، شأنه في ذلك شأن حلقات التحفيظ القرآنية، وهو أيضاً علم يستحق أن يُطبق عليه منهج المواد الدراسية المنفصلة.

أهم نتائج الفصل الثاني

- طرق التعلم تيسر وتفيد في تحصيل التدبر، وتعين في اكتساب أحد أشكال التعلم الثلاثة، وهذه الأشكال هي: اكتساب سلوك جديد، التخلي عن سلوك، تعديل سلوك.

- من القواعد الأساسية لتعليم التدبر ما يتعلق بطرق التدريس ما يلي: العناية بالتمهيد التربوي، مراعاة التدرج في تعليم التدبر، التحضير الجيد للدرس القرآني، استخدام أسلوب التعلم التعاوني، استخدام الوسائل التعليمية المناسبة.
- من القواعد الأساسية لتعليم التدبر ما يتعلق بالمحتوى التدريسي ما يلي: أهمية الاستعاذة للتدبر، شرح الكلمات والجمل والآيات، ربط أحكام التجويد بالمعاني، الموعظة والتحذير من الذنوب الصارفة عن التدبر، إدراج حصة التدبر في الدرس القرآني، التربية على شكر نعمة التدبر.

أهم نتائج الفصل الثالث

- من القضايا التعليمية المهمة تعليم الاستماع والإنصات لتدبر القرآن، وتضمن الكتاب التأكيد على مهارة الاستماع وأهميتها، ووسائل تعلميها وتدريب المتعلمين عليها، وكيفية تنميتها.
- أسس الاستماع التربوي هي: التهيؤ الذهني والنفسي قبل الاستماع، عدم انشغال المتربي بما حوله، التفكر أثناء الاستماع، الخشوع والبكاء أثناء الاستماع، التفاعل الحسي والمعنوي.
- من آثار الاستماع التربوي للقرآن: الفهم الصحيح، والثواب الجزيل، وتحصيل الهدى والبركة والرحمة.
- من وسائل تربية ملكة الاستماع لدى المتعلمين: مراعاة المتعلم لأسس الاستماع، تعويد الطلاب على جلسات الاستماع من الآخرين، استثمار بعض أوقات الفراغ، المناقشة والمحاورة بعد الاستماع.

أهم نتائج الفصل الرابع

- تعليم التدبر وتدريسه ينقسم إلى ثلاثة مراحل: مرحلة التهيئة القلبية، ومرحلة الممارسة العملية، ومرحلة التدبر المتقَن، وتختلف هذه المراحل حسب مراحل النضج التعليمي والتربوي للمتعلمين.

- تشمل مرحلة التهيئة القلبية ما يلي: تعريف المتربين بمفهوم تدبر القرآن وأهميته، الترغيب في التدبر، التشجيع والتحفيز التربوي على التدبر، الترهيب من ترك التدبر، التعويد على الترتيل والتغني بالقرآن وتحسين الصوت به، عرض القصص القرآني بأسلوب ميسر، إلزام الطلاب بمصحف المتدبرين، الرحلات والبرامج الترويحية الهادفة المعينة على التدبر.
- تشمل مرحلة الممارسة العملية ما يلي: استخدام أسلوب التكرار، استخدام أسلوب ضرب الأمثال، التعريف بأسماء الله الحسنى، ربط الآيات القرآنية بالسيرة النبوية، الترغيب في قيام الليل، إبراز القدوات والنماذج (للمتدبرين)، استثمار الأحداث والمناسبات، تعريف المتعلمين بكيفية التدبر وأحواله.
- تشمل مرحلة التدبر المتقن ما يلي: تعليم قواعد التفسير، تعليم حسن الابتداء والوقف، التوجيه للتعمق في علوم اللغة العربية، القدرة على استخراج الحكم والاستنباطات، التربية على نشر مفهوم التدبر والعلوم المستنبطة منه، تعليم مهارات التفكير.

أهم نتائج الفصل الخامس

- يُعد مفهوم التعلم الذاتي من أساليب اكتساب مهارة التدبر، وعلى المربي أن يوجه طلابه لهذا المفهوم.
- الطرق الذاتية التي يستخدمها المتربي مع نفسه ليكون ممن يتدبر كتاب الله الكريم ما يلي: الإخلاص، الاستعداد النفسي للتدبر، الدعاء بأن يرزقه الله التدبر، مراقبة الإنسان لنفسه، محاسبتها أثناء القراءة، تعويد النفس على التأني في قراءة القرآن وعدم العجلة، اعتبار الفرد أنه المقصود (وليس غيره) بكل خطاب في القرآن، ملازمة الورد القرآني.

ثانياً ـ التوصيات

- من المناسب وضع مفردات تفصيلية خاصة لكل مرحلة، تصلح منهجاً متبعاً يأخذ به معلم القرآن مباشرةُ ويطبقه مع طلابه. ويستفاد في ذلك من الوسائل المقترحة، ومن عناوين الموضوعات.
- إلقاء موضوعات هذا الكتاب على المهتمين بتربية الأجيال، ففي ثناياه تنظير علمي يعين المشرف والمربي والمعلم على وضع مفردات مناسبة للطلاب، فيختار منها ما يرى إمكانية تطبيقه، وما يظن أنه الأحوج لمن يُدَرِّسهم ويربيهم.
- عقد جلسات خاصة بين الوالد وأبنائه لتطبيق ما ورد في هذا الكتاب من أساليب تعينه في تربيتهم على تدبر كتاب الله الكريم.
- إجراء المزيد من الأبحاث والدراسات التربوية النفسية في الموضوعات التي أشير إليها، أو لم تفصل في هذا الكتاب.

المصادر

القرآن الكريم

- موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة: صحيح البخاري ـ صحيح مسلم ـ سنن أبي داود ـ سنن الترمذي ـ سنن النسائي ـ سنن ابن ماجة. طبعة مصححة ومرقمة ومرتبة حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف ومأخوذة من أصح النسخ. بإشراف ومراجعة فضيلة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ. الرياض: دار السلام، ط١٤٢٠.

المراجع

١ ـ الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن محمد السيوطي. القاهرة: البابي الحلبي، ط٤: ١٣٩٨.

٢ ـ أخلاق أهل القرآن، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠). بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط١٤١٢.

٣ ـ الأذكار، يحي بن شرف الدين النووي (ت٦٧٦). تحقيق بشير عون، الطائف: مكتبة المؤيد، ط١٤٠٨.

٤ ـ إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد (الرسائل المنيرية)، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١٣٤٦.

٥ ـ أساسيات القياس والتقويم في التربية والتعليم، د. غانم العبيدي ود. حنان الجبوري. الرياض: دار العلوم والنشر، ط ١٤٠١.

٦ ـ أساليب التعليم والتعلم وتطبيقاتها في البحوث التربوية، د. عفت مصطفى الطناوي. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢٠٠٢.

٧ ـ أسس بناء المناهج التربوية وتصميم الكتاب التعليمي، د. محمد محمود الخوالدة. عمان: دار المسيرة، ط١٤٢٥ .

٨ ـ إسهام جمعيات تحفيظ القرآن الكريم في بناء الأجيال، الواقع والمأمول، إعداد: عبدالمعين محمد إكرام. سجل أوراق العمل للملتقى الثاني للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم (أساليب وتقنيات تحقيق الريادة). ص ص ٦٢٨ ـ ٦١١.المنظمون: الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة جدة ٢٥ ـ ٢٧ رجب ١٤٢٦.

٩ ـ أصول التربية الإسلامية، د. خالد حامد الحازمي. سلسلة المنظومة التربوية. المدينة المنورة: دار الزمان للنشر والتوزيع، ط١٤٢٦.

١٠ ـ أصول في التفسير، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الدمام: دار ابن القيم، ط١٤٠٩.

١١ ـ الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت٧٩٠). مكة: دار الباز، د.ت.

١٢ ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١). تحقيق وتصحح وتعليق محمد حامد الفقي. بيروت: دار المعرفة، د.ت.

١٣ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (ت٧٢٨). تحقيق ناصر العقل. الرياض: مكتبة الرشد، ط٣: ١٤١٣.

١٤ ـ بدع الناس في القرآن، أبو أنس علي أبو لوز. الرياض: دار الوطن، ط١٤٢٠.

١٥ ـ البدع والحوادث، الإمام أبو بكر بن محمد بن الوليد الطرطوشي (ت٥٣٠). ضبط نصه وحققه وعلق عليه: علي حسن الحلبي. الدمام: دار ابن الجوزي، ط١٤١١.

١٦ ـ البرهان في تناسب السور، للإمام الحافظ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (ت٧٠٨). تقديم وتحقيق د. سعيد الفلاح. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر، ط ١٤٠٨.

١٧ ـ البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم. بيروت: دار الفكر، ط٣: ١٤٠٠.

١٨ ـ التأويل في دعاء التنزيل، عبدالعزيز محمد سندي. مكة: المصنع السعودي، ط١٤٢٢.

١٩ ـ التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا يحي بن شرف الدين النووي، حققه وخرج أحاديثه بشير محمد عيون. دمشق: دار البيان، ط١٤١٣.

٢٠ ـ التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١). صححه وعلق على هوامشه محمد حامد الفقي. بيروت: دار المعرفة، ط١٣٥٢.

٢١ ـ التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور. بيروت: مؤسسة التاريخ، ط١٤٢٠.

٢٢ ـ التحفة العراقية في أعمال القلوب، شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم المشهور بابن تيمية (ت٧٢٨)، حققها سليمان الحرش. الرياض: دار المعراج الدولية للنشر، ط١٤١٣.

٢٣ ـ التربية وطرق التدريس، أ. صالح عبدالعزيز ود.عبدالعزيز عبدالمجيد. القاهرة: دار المعارف، ط١٩٧٩.

٢٤ ـ تدبر القرآن، سلمان عمر السنيدي. الرياض: مجلة البيان، كتاب المنتدى، ط٢: ١٤٢٣.

٢٥ ـ تدبر القرآن، د. صالح بن فوزان الفوزان. الرياض: دار القاسم، ط١٤١٩.

٢٦ ـ تدريب المعلمين على تعليم مهارات التفكير بأسلوب التعلم التعاوني، إبراهيم بن أحمد مسلم الحارثي. الرياض: مكتبة الشقري، ط١٤٢٣.

٢٧ ـ تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية: أسسه وتطبيقاته، د. محمد صلاح الدين مجاور. الكويت: دار القلم، ط١٣٩٤.

٢٨ ـ التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١٤٠٣.

٢٩ ـ تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى: أسسه ـ مداخله ـ طرق تدريسه، د. محمود كامل الناقة. مكة: جامعة أم القرى، معهد اللغة العربية، ط ١٤٠٥.

٣٠ ـ تعليم القرآن الكريم، أبو بلال عبد الله الحامد. بيروت: الدار العربية للعلوم، ط١٤٢٤.

٣١ ـ تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤). بيروت: دار المعرفة، ط١٤٠٠.

٣٢ ـ تفسير القرآن العظيم، جزء عم، محمد بن صالح بن عثيمين، اعتنى به فهد السليمان، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين. الرياض: دار الثريا للنشر والتوزيع، ط١٤٢٣.

٣٣ ـ تفسير المراغي، صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير أحمد مصطفى المراغي. بيروت: دار الفكر، ط١٤٢١.

٣٤ ـ تلبيس إبليس، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (ت٥٩٧). بيروت: دار القلم، (د.ت).

٣٥ ـ تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين: دراسة وتطبيق، د. عبدالعزيز ابن عبدالرحمن الضامر. دبي: جائزة دبي الدولية، ط١٤٢٨.

٣٦ ـ تنمية القدرة على تدبر القرآن الكريم، إعداد محمد الدويش. سجل أوراق العمل للملتقى الثاني للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم (أساليب وتقنيات تحقيق الريادة). ص ص ٧٣ ـ ١٠٠.المنظمون: الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة جدة ٢٥, ـ ٧ رجب ١٤٢٦.

٣٧ ـ تهذيب سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨). أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط، هذبه أحمد فايز الحمصي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١٤١٢.

٣٨ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦). قدم له الشيخ عبد الله العقيل والشيخ محمد بن عثيمين. بيروت: دار الرسالة، ط١٤٢١.

٣٩ ـ جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري. بيروت: دار الفكر، ط١٤٠٥.

٤٠ ـ الجامع لأحكام القرآن، الإمام محمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١). بيروت: دار المعرفة، ط١٣٧٢.

٤١ ـ الجواب الصحيح عن أحكام صلاة الليل والتراويح، عبد العزيز بن عبد الله بن باز. د.ت.

٤٢ ـ حق التلاوة: كتاب منهجي تطبيقي يعتمد أصول تدريس التجويد في تعلم تلاوة القرآن وتعليمه على رواية حفص عن عاصم، حسني شيخ عثمان. جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ط ١٤١٥.

٤٣ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠). بيروت: دار الكتاب العربي، ط١٣٨٧.

٤٤ ـ حياة الصحابة، محمد بن يوسف الكاندهلوي. تحقيق نايف العباس ومحمد دولة، ط١٣٨٨.

٤٥ ـ دروس في ترتيل القرآن الكريم، فائز عبدالقادر شيخ الزور. عني بطبعه ونشره عبد الله إبراهيم الأنصاري. قطر: إدارة إحياء التراث الإسلامي، ط١٤٠٤.

٤٦ ـ دعوة إلى تدبر القرآن الكريم .. كيف ولماذا، مختار شاكر كمال. عمان: دار البشير، ط١٤١٥.

٤٧ ـ الدليل إلى تعليم كتاب الله الجليل، حسانة بنت محمد ناصر الدين الألباني وسكينة بنت محمد ناصر الدين الألباني. بيروت: دار ابن حزم وعمان: المكتبة الإسلامية، ط١٤٢٥.

٤٨ ـ دليل المعلم لتنمية مهارات التفكير، كلمة معالي الوزير. الرياض: وزارة التربية والتعليم، التطوير التربوي، ط١٤٢٥.

٤٩ ـ ذيل طبقات الحنابلة، عبدالرحمن بن رجب الحنبلي، بيروت. ط١٤١٢.

٥٠ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية. حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط. بيروت: مكتبة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية، ط٨: ١٤٠٥.

٥١ ـ الرحلات والمخيمات وأثرها الدعوي والتعليمي والتربوي، عبد الله قاسم الوشلي. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط١٤١٠.

٥٢ ـ الزهد والرقائق، عبد الله بن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. مكة: دار الباز، (د.ت).

٥٣ ـ سنن القراء ومناهج المجودين، د. عبد العزيز بن عبدالفتاح القارئ. المدينة: مكتبة الدار، ط١٤١٠.

٥٤ ـ سيكولوجية التعلم بين النظرية والتطبيق، د. سيد خير الله ود. ممدوح الكناني. بيروت: دار النهضة، ط١٩٨٣.

٥٥ ـ صحيح مسلم بشرح النووي، يحي بن شرف الدين النووي (ت٦٧٦).

٥٦ ـ طرق تدريس مواد التربية الإسلامية، د. عدنان باحارث. جدة: دار المجتمع، ط٢: ١٤١٩.

٥٧ ـ علم التجويد: أحكام نظرية وملاحظات عملية تطبيقية، د. يحي عبد الرزاق غوثاني. جدة: دار نور المكتبات، ط١٤١٧.

٥٨ ـ علم التجويد للمبتدئين، أبو عبدالرحمن جمال القرش. الدمام: دار ابن الجوزي، ط ١٤٢٤.

٥٩ ـ علم اللغة النفسي، د. عبدالمجيد سيد أحمد. الرياض: جامعة الملك سعود، ط١٩٨٢.

٦٠ ـ علم النفس، د. أحمد يحي. الأردن: دار وائل للنشر. ط٢٠٠٦.

٦١ ـ غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر. القاهرة: بدون دار نشر، ط٤: ١٤١٤.

٦٢ ـ فتح الأقفال بشرح تحفة الأطفال، الشيخ العلامة سليمان بن حسين الجمزوري. حققه وقدم له وعلق عليه: عبدالعزيز محمد الجربوع. الرياض: دار الذكرى، ط١٤٢٤.

٦٣ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني (ت٥٥٢). الرياض: مكتبة الرياض.

٦٤ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني. تحقيق سيد إبراهيم. الرياض: دار زمزم، ط١٤١٣.

٦٥ ـ فضائل القرآن، اسماعيل بن عمر عماد الدين بن كثير. مصر: دار الحديث، (د، ت).

٦٦ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، العلامة المحدث محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي. بيروت: دار المعرفة، ط٢: ١٣٩١.

٦٧ ـ الفوائد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١)، بيروت: دار النفائس، ط٢:١٤٠٦.

٦٨ ـ القطع والائتناف، أبو جعفر النحاس. تحقيق د أحمد العمر. مطبعة العاني، ط١٣٩٨.

٦٩ ـ قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل.. تأملات، د. عبدالرحمن حسن الميداني. دمشق: دار القلم، ط١٤٠٠.

٧٠ ـ قواعد التفسير: جمعاً ودراسةً، خالد بن عثمان السبت. الخبر: دار ابن عفان، ط١٤١٧.

٧١ ـ القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦). اعتنى به خالد بن عثمان السبت. الدمام: دار ابن الجوزية، ط١٤٢١.

٧٢ ـ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، الإمام محمد بن أحمد بن جزيء الكلبي بيروت: دار الكتاب العربي، ط١٣٩٣.

٧٣ ـ كيف تحفظ القرآن الكريم: قواعد أساسية وطرق عملية، د. يحي عبد الرزاق الغوثاني. جدة: دار نور المكتبات، ط٢: ١٤١٨.

٧٤ ـ كيف نتدبر القرآن، فواز أحمد زمرلي. بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط٥: ١٤٢٤.

٧٥ ـ كيف نحيا بالقرآن، نبيه زكريا عبدربه. الدوحة: دار الحرمين للنشر، ط١٤٠٣.

٧٦ ـ كيف ننتفع بالقرآن الكريم.. خطوة نحو تدبر أمثل، د. أحمد البراء الأميري. جدة: دار نور المكتبات، ط١٤٢٢.

٧٧ ـ لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها، د. محمد أمين المصري. بيروت: دار الفكر، ط٤: ١٣٩٨.

٧٨ ـ مباحث في علوم القرآن، مناع القطان. الرياض: مكتبة المعارف. ط٢: ١٤١٧.

٧٩ ـ المبادئ العامة للتربية، محمد القزاز وصالح الشهري. الرياض: دار المعراج الدولية للنشر، ط ١٤١٦.

٨٠ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨). جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي وابنه محمد. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، (د.ت).

٨١ ـ مختصر قيام الليل للمروزي، أحمد بن علي المقريزي، بيروت: مكتبة المنار، ط١٤١٣.

٨٢ ـ مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي. تحقيق علي الحلبي. عمان: دار عمار، ط١٤٠٦.

٨٣ ـ المدرسة الابتدائية: أنماطها الأساسية واتجاهاتها العالمية المعاصرة، محمود شفيشق وآخرون. الكويت: القلم، ط١٣٩٦.

٨٤ ـ المجموع شرح المهذب، يحي بن شرف النووي. تحقيق محمد نجيب المطيعي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١٤١٥.

٨٥ ـ المحرر في علوم القرآن، د. مساعد بن سليمان الطيار. جدة: جمعية تحفيظ القرآن الكريم بمحافظة جدة، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي. ط١٤٢٧.

٨٦ ـ مختار الصحاح، الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان. بيروت: مكتبة لبنان، ط١٩٨٨.

٨٧ ـ مختصر الفوائد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١). اختصار: أحمد عثمان مزيد. الرياض: دار الوطن، ط٣: ١٤٢٧

٨٨ ـ المساعد لحفظ القرآن الكريم، محمد حبيب الله محمد الشنقيطي. المدينة: دار خضر، ط٢: ١٤٢٧.

٨٩ ـ مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني. دار إحياء التراث، ط٢: ١٤١١.

٩٠ ـ مشروع الحياة من جديد، إعداد: د.أسماء بنت راشد الرويشد. سجل البحوث وأوراق العمل للملتقى الثالث للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالمملكة (الجمعيات والمجتمع)، ص ص ٥١٩ ـ ٥٤٢. الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمنطقة الرياض ٢٢ ـ ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٨.

٩١ ـ المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، إعداد جماعة من العلماء، بإشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، ط ١٤٢٠.

٩٢ ـ مصنف ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد أبي بكر بن أبي شيبة. باكستان: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، ط١٤٠٦.

٩٣ ـ مع القرآن وحملته في حياة السلف الصالح، عبيد الشعبي. الرياض: دار الشهاب، ط١٤١٢.

٩٤ ـ معالم في التربية، د. عجيل النشمي. الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ط ١٤٠٠.

٩٥ ـ مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة.. مفاتيح لتحقيق التدبر الأمثل، د. خالد بن عبد الكريم اللاحم. الرياض: بدون دار نشر، ط١٤٢٥.

٩٦ ـ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن القيم (ت٧٥١). تحقيق علي بن حسن الحلبي؛ مراجعة الشيخ بكر أبو زيد. الدمام: دار ابن عفان، ط١٤١٦.

٩٧ ـ المفردات القرآنية، علي محمد سلام. الاسكندرية: مركز الاسكندرية للكتاب، ط٢٠٠٥.

٩٨ ـ مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، د. مساعد بن سليمان الطيار. الدمام: دار ابن الجوزي، ط١٤٢٣.

٩٩ ـ من الآثار الإيمانية لتعليم وتعلم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع، إعداد: د.شعبان رمضان مقلد. سجل البحوث وأوراق العمل للملتقى الثالث للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالمملكة (الجمعيات والمجتمع)، ص ص ٢٧ ـ ٦٨. الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمنطقة الرياض ٢٢ ـ ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٨.

١٠٠ ـ المنهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد الحمود النجدي. الكويت: مكتبة الإمام الذهبي، ط١٤١٧.

١٠١ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني. القاهرة: دار الفكر، د.ت.

١٠٢ ـ المنهج الدراسي المعاصر: المفهوم ـ الأسس ـ المكونات ـ التنظيمات، د. حسن جعفر الخليفة. الرياض، مكتبة الرشد، ط٢: ١٤٢٤.

١٠٣ ـ منهج تدبر القرآن، حكمت بشير ياسين. الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط١٤٢٥.

١٠٤ ـ مهارات التدريس في الحلقات القرآنية، د. علي بن إبراهيم الزهراني. الخبر: دار ابن عفان، ط١٤١٨.

١٠٥ ـ الموافقات من أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى الشاطبي. بيروت: دار المعرفة، (د.ت).

١٠٦ ـ النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، د. محمد عبد الله دراز. الكويت: دار القلم، ط٤: ١٣٩٧.

١٠٧ ـ النشر في القراءات العشر، الإمام الحافظ أبي الخير محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣). مكة: مكتبة الباز، ط١٤٢٣.

١٠٨ ـ النمو من الطفولة إلى المراهقة، د.محمد جميل منصور، ود. فاروق سيد عبد السلام. جدة: مكتبات تهامة، ط٣: ١٤٠٣.

١٠٩ ـ الوسائل التعليمية وعلاقتها بتقبل الطالب للمادة الدراسية، د. ناصر بن عبد العزيز الداود. الرياض: شركة العبيكان، ط١٤١٢.

١١٠ ـ الوسيلة لحفظ القرآن الكريم: دليل المعلم والطالب، عبد الرحمن بن محمد بن ملوح. جدة: دار الوسيلة، ط١٤٢١.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

من إصدارات مركز الدراسات والمعلومات القرآنية

١ ـ **مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية** (مجلة علمية محكمة نصف سنوية صدر منها الأعداد ١ ـ ٤).

٢ ـ **مفاهيم قرآنية في البناء والتنمية**: أ.د. عبد الكريم بكار. ضمن سلسلة القرآن وقضايا العصر (١).

٣ ـ **المحرر في علوم القرآن**: د. مساعد بن سليمان الطيار. ضمن سلسلة المقررات الدراسية (١) ـ الطبعة الثانية.

٤ ـ **منهج الاستنباط من القرآن الكريم**: فهد بن مبارك الوهبي. ضمن سلسلة الرسائل الجامعية (١).

٥ ـ **شرح المقدمة الجزرية**: أ.د. غانم قدوري الحمد. ضمن سلسلة المقررات الدراسية (٢).

٦ ـ **منظومة المقدمة الجزرية**: لابن الجزري. تحقيق: أ.د. غانم قدوري الحمد. ضمن سلسلة تحقيق التراث (١).

٧ ـ **إقراء القرآن الكريم**: منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه: دخيل بن عبد الله الدخيل. ضمن سلسلة الرسائل الجامعية (٢).

٨ ـ **تجربة المقرأة القرآنية الثانية في تعليم القرآن**: موسى الجاروشة. ضمن سلسلة تجارب في خدمة القرآن (١).

٩ ـ **تعليم تدبر القرآن الكريم**: أساليب عملية ومراحل منهجية: د. هاشم الأهدل.

معهد الإمام الشاطبي في سطور

مؤسسة تعليمية تربوية متخصصة تعنى بخدمة القرآن الكريم وعلومه. ويتولى الإشراف على المعهد الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة جدة.

● **أهداف المعهد:**

١ ـ تأهيل معلمي القرآن الكريم وإعدادهم إعداداً علمياً وتربوياً ومهارياً.

٢ ـ نشر البحوث والدراسات القرآنية وتيسير الوصول إلى المعلومات المتصلة بالقرآن الكريم وعلومه.

٣ ـ إحياء سنة الإقراء وتخريج الحفاظ المجازين في القراءات.

٤ ـ تعليم أحكام التجويد وقواعد التلاوة لكافة فئات المجتمع.

٥ ـ تأهيل منسوبي الجمعية إدارياً ومهارياً للقيام بمهام التوجيه والإشراف والإدارة في الجمعية.

● **أقسام المعهد:**

أولاً: دبلوم إعداد معلمي القرآن:

ويعتبر الأول من نوعه على مستوى جمعيات القرءان الكريم بالمملكة، ويهدف إلى تأهيل معلمي القرآن الكريم وإعدادهم إعداداً علمياً وتربوياً ومهارياً، ومدته سنتان دراسيتان تحوي (١٠٠) ساعة دراسية، ويحاضر فيه نخبة من أساتذة الجامعات والكليات.

ثانياً: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية:

مركز متخصص يعني بنشر الدراسات القرآنية وتسهيل الوصول للمعلومات المتعلقة بالقرآن وعلومه، ويتكون من عدة وحدات: وحدة مجلة المعهد المحكمة، ووحدة المعلومات، ووحدة البحث العلمي، ووحدة النشر العلمي.

ثالثاً: مركز التدريب:

يعنى المركز بتأهيل وتدريب منسوبي الجمعية من معلمين ومشرفين على مختلف تخصصاتهم لرفع مستوى الأداء وتحسين الجودة في الجمعية: إدارياً وتربوياً ومهارياً، ويقدم المركز بعض خدماته لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم الأخرى.

رابعاً: قسم المقارئ القرآنية:

يشرف القسم على مراكز إقراء تهدف إلى تخريج الحفاظ المتقنين للقرآن الكريم وإجازتهم بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ، ويتولى الشيخ المجاز إقراء طالبي الإجازة سواء على قراءة أو عدة قراءات جمعاً أو إفراداً.

خامساً: قسم التعليم الإلكتروني:

يهدف القسم إلى تطويع التقنية الحديثة لتعليم القرآن الكريم وإتاحة الفرصة للراغبين في الاستفادة من برامج المعهد التعليمية من شتى بقاع العالم، وذلك من خلال تنظيم برامج الإقراء والدروس والدورات القرآنية المباشرة والمسجلة عبر شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت).

سادساً: قسم الدورات القرآنية:

يسعى القسم إلى رفع مستوى الأداء وتمكين علم التجويد لدى معلمي القرآن الكريم من خلال دورات التجويد والقراءات وطرق التدريس، كما يهدف إلى تعليم كافة فئات المجتمع أحكام التجويد وقواعد التلاوة.

سابعاً: القسم النسائي:

ويعنى بإيصال رسالة المعهد إلى المجتمع النسائي عبر أقسامه التالية: دبلوم إعداد معلمات القرآن الكريم، ودبلوم إعداد معلمات رياض الأطفال، وقسم المقارئ والإجازات، وقسم الدورات والتدريب، وقسم التعليم الإلكتروني.